العمارة في مدينة الحلة

الطبعة الثانية

العمارة

في مدينة الحلة

الطبعة الثانية

تأليف

الدكتور المهندس

نصير علي الحسيبي

٢٠١٩م

العمارة

في مدينة الحلة

الدكتور المهندس نصير علي الحسيني

الطباعة: دار الفرات للثقافة والإعلام - بابل – العراق

الطبعة الثانية

ali.abas505@yahoo.com / 07707311570

السنـــة: ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon

الإهداء

إلى

أبي.. وأمي .. وأخي

لذكراكم الخلود

ولأرواحكم الرحمة ...

فأنتم حفرتم الطريق .. ونحن مشيناه ..

د. نصير

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

كنت أتمنى أن أكتب شيئاً ما عن مدينتي الحلة ، وفاءً واعتزازاً بها ، وقد تكون من المفارقة أن أكتب عن عمارة مدينة الحلة ، لأنها تعاني الكثير ، ولكني أجد من الضرورة أن أكتب لأبين مواطن الضعف ، علني أصحو من نومي يوماً وأجدها مدينة يشار إليها ، كما كان يشار إلى بابل العظيمة ، التي كان لشواهدها حصة في هذا الجهد المتواضع .

ورغم أن الحلة ، تمتلك قامات شامخة في العلم والأدب والفن ، لكنها تفتقر إلى قامات إنشائية شامخة ، تدل على تراثها الثر ، وتعبر عن قوتها ، وأصالتها ، وفي هذا الكتاب ، قد أكون أسهمت في تقديم شيء إلى مدينتي التي أنتمي إليها ، وأحبها والله المعين وأسأله التوفيق.

نصير الحسيني

مايس / ٢٠١١

العمارة في مدينة الحلة ...

تقع مدينة الحلة إلى الجنوب الغربي من مدينة بغداد ، عاصمة العراق ، الذي شغل الدنيا قديماً وحديثاً ، وعلى مر العصور كان العراق بلداً له أهمية اقتصادية ، وسياسية أثارَّ اهتمام العالم إليه .

والحلة تعني في اللغة : القوم النزول وفيهم كثرة ، كما تطلق على شجر شائك أصغر من العوسج ، وكانت تسمى سابقاً –الجامعين– وهي أجمة قصب تأوي إليها السباع والوحوش ، ويرى آخرون أنها مدينة زاهرة في موقع عامر بالخصب –أي الجامعين– ثم تلاشى أمرها على أثر بناء الحلة من قبل سيف الدولة المزيدي صدقة عام ٤٧٩هـ .

وفي عام ٤٩٥ هـ أتخذها عاصمة لإمارته التي أخذت أطراف قوتها تترامى في وسط وجنوب العراق . [١]

مرت العمارة في مدينة الحلة بحقب زمنية مختلفة أثرت على عمارتها ، فبعد الفترة المزيدية أمست الحلة تابعة للعباسيين ،ومن ثم للعثمانيين،وفي عام ١٣٣٥ هـ وقعت تحت الاحتلال الانكليزي حتى قيام النظام الملكي في العراق. [٢]

تقع إلى الشمال من مدينة الحلة ، مدينة بابل الأثرية وإلى الجنوب الغربي آثار بورسيبا (بيرس – نمرود) [٣] فضلاً عند بعض الآثار الأخرى .

يمر في مدينة الحلة فرع من نهر الفرات ، الذي يتفرع في سدة الهندية ، ويسمى شط الحلة ويشطرها إلى الصوب الكبير والصوب الصغير .

ثمة مؤثرات كثيرة على عمارة مدينة الحلة من خلال التنوع في التأثيرات (الحقب) المختلفة التي مرت بها المدينة فضلاً عند تأثر العمارة ذاتها في العالم ، ورغم ذلك لم تترك أكثر الحقب الزمنية المرتحلة آثاراً يشار إليها بالبنان .

تمتاز العمارة في أغلب مدن العراق بالعفوية في التكوين والتشوه المعماري ، حتى أن كثيراً من القوانين الخاصة بالبناء قد مرت عليها عدة عقود زمنية ولازالت قائمة رغم عدم جدواها ، بل وانتقاء الحاجة إليها، أما في تصميم المدينة فهي ما زالت تعاني الكثير . حتى أن الشارع المخصص سابقاً للسيارات أصبح لا يتسع للمشاة ، وضرورات ومتطلبات المدينة الحديثة يختلف عن مدينة (الدرابين) و (العگود) الصغيرة ، حتى أن طبيعة الحياة قد اختلفت في نهاية القرن العشرين عند بدأياته . [٤]

تأثرت العمارة في العراق بحركة العمارة العالمية التي سادت في نهاية القرن التاسع عشر – بدأية القرن العشرين بصورة نسبية والتي تميزت بين اتجاهين : الأول يرفض استئصال القديم باعتباره تراثاً وبين الجديد باستخدامه المواد الجديدة مثل الفولاذ والكونكريت والزجاج بسبب تطور الآلة التكنولوجية [٥]، ولكن المؤسف أن العمارة في العراق تأثرت بأسلوب النقل المباشر دون الاستفادة من المواد الجديدة في تطوير الشكل المعماري والمضمون والهيكل بأسلوب مفيد للمدينة الشرقية ، وتحديداً البيئة العراقية ومدينة الحلة قد تأثرت ولكن بشكل بسيط وبعد الثلث الأول من القرن العشرين بسبب الاحتلال العثماني والانكليزي

اللذين امتازا بالجمود والحقد ونهب ثروات الشعوب .

لا توجد أية مدينة من الفترة المزيدية أو الفترة العباسية بل وحتى العثمانية ، والسبب الرئيسي كما نعتقد يعود إلى أن جميع الأبنية كانت من الطوب (اللبن) وانجرفت أغلبها خلال فترة الفيضانات أو تهدمت نتيجة الحروب أو الغزوات أو الهدم ، إضافة إلى أن الأبنية الأخرى التي أنشئت في المناطق الرئيسية مثل الجامعين والسنية والأكراد والمهدية كانت أغلبها من أنقاض مدينة بابل الأثرية ، بل وبتشجيع من السلطات المحلية الحاكمة آنذاك ، وأكاد أجزم أن لليهود دوراً أساسياً في ذلك ، وتعدى الأمر كذلك في زمن الانكليز حين قاموا برصف طريق سدة الهندية بأنقاض آثار بابل . (٦)

وفي فترة الاحتلال الانكليزي وبدأية الحكم الملكي في العراق قامت السلطات ببناء بعض الأبنية لتأمين سيطرتها وحمايتها مثل دائرة الضريبة الآن ، التي كانت متصرفة لواء الحلة ودائرة المحاكم الكبرى المتصلة بالمتصرفية والآن هي العيادة الشعبية ، ومحطة القطار والحامية التي الآن مركز تدريب الحلة ، ولاحقاً في زمن النظام الملكي أنشئت البلدية من تصميم المهندس المعماري العراقي محمد مكية ، وكانت على شكل سفينة راسية على ساحل شط الحلة ، ثم أضيف لها جناح اثر على شكل التصميم المعماري . (٧)

كانت الحلة تتكون من الجامعين والسنية والأكراد والمهدية وجبران والطاق ثم الجديدة وتوسعت في بدأية القرن العشرين ، وفي فترة النظام الملكي لتكون حي بابل والقاضية والخسروية ، ولاحقاً الماشطة ، وكان

استخدام المواد الجديدة مثل الشيلمان والطابوق المفخور والزجاج والحديد واضحاً بدل الجدوع والبردي والخشب والقوغ ، حيث كان استخدام مثل هذه المواد أساسياً في البناء سابقاً .

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ تكونت أحياء جديدة أخرى ، هي الإسكان والحي الجمهوري والثورة والشاوي ، وفي بدأية الستينيات توسعت الحلة وتكونت أحياء جديدة هي مصطفى راغب والبكرلي ونادر والجمعية ومن ثم حي الحسين والطيارة وحي الإمام علي (ع) ، وبعد ١٧ تموز ١٩٦٨ أنشئت أحياء جديدة أخرى هي ١٧ تموز والكرامة ولاحقاً المحاربين والضباط والعسكري والمهندسين والأكرمين والأساتذة والمخابرات.

وتميزت هذه المرحلة التي امتدت من منتصف القرن العشرين باستخدام حديد التسليح واستخدام المواد الجديدة الأخرى إضافة إلى تغير خريطة البيت العراقي من البيت الشرقي القديم إلى بيت من طراز آخر تأثر بصورة واضحة بمؤثرات جديدة سنأتي على ذكرها بالتفصيل .

توسعت الحلة بصورة سريعة ومثيرة وأصبحت المدينة بحالة من الفوضى بسبب عدم تنظيم المدينة وعدم شق الطرق الجديدة والسريعة وأنشئت فيها عدة أبنية جديدة أخرى مثل مصرف الرافدين عام ١٩٦٠ [٨] ، مستشفى الجمهوري ١٩٦٧-١٩٦٩ ، ومحكمة استئناف بابل ١٩٦٧-١٩٦٨ من تصميم المعماري العراقي معاذ الآلوسي [٩] وبناية الأيتام الداخلية في مصطفى راغب اتخذت فيما بعد دائرة تربية بابل ، والوحدة الميكانيكية في طريق الحلة – نجف ١٩٦٤ وبناية مركز الشباب

لتكون فيما بعد اتحاد نساء بابل .

وبعد ١٧ تموز ١٩٦٨ شيدت في الحلة عدة أبنية أخرى مثل المحافظة القديمة (١٩٧١-١٩٧٢) [١٠] ومدرسة العقود البيتية ١٩٦٨-١٩٦٩ وبناية زراعة بابل ١٩٦٩ وبناية الاتصالات ومدرسة صناعة بابل ١٩٧٠ وبناية الأورزدي ولاحقاً قيادة الفرع وأكاديمية الفنون الجميلة (بناية الطرق سابقاً) . ومقرات الشعب الحزبية ، وفي عام ١٩٨٠ تم افتتاح المعهد الفني في بابل من تنفيذ وتصميم شركة يابانية لتكون فيما بعد جامعة بابل التي تتوسع يوماً بعد يوم لتكون جامعة مرموقة ورصينة إن شاء الله .

كما شيدت عدة مشاريع صناعية مثل النسيج الناعم والدواجن ، وبحيرات الأسماك فضلاً عن بناء مجمع النسيج السكني ولاحقاً مجمع باب الحسين السكني التابع للإدارة المحلية ، وأخيراً المجمع السكني التعاوني على شارع (٦٠) في بدأية الثمانينيات .

إضافة لما تقدم أنشئت عدة أبنية أخرى مثل البلديات وبناية الضمان ونقابة العمال والمعلمين والمهندسين والري بتصاميم عراقية عامة استنسخ بناؤها في عدة مدن عراقية وكذلك مخازن ومشاريع للماء الصافي وصيانة الكهرباء ، ولكن المخطط العام للمدينة لم يشهد أي تطور عمراني ملموس رغم بعض المحاولات التي جرت مثلاً في تطوير شارع الإمام علي (ع) حيث قامت البلدية ببيع القطع التجارية التي استملكتها من المواطنين وبيعها إلى مواطنين آخرين وتشجيعهم على بنائها بالقروض والمواد الإنشائية وكانت تصاميم تجارية بحتة هدفها

الاستفادة المالية جهد الإمكان دون مراعاة لأبسط حدود المفاهيم المعمارية والهندسية حتى حين تنظر خلف الأبنية تجد الخرائب والأبنية الآيلة للسقوط بالتأكيد أنها تجربة فاشلة لا تمت إلى الحضارة بأية صلة فضلاً عن عدم صلاحية النظام البلدي العراقي في تخصيص المناطق التجارية والسكنية رغم مرور زمن طويل على تطبيقه ومن الواجب إلغاؤه ونحن نخلف وراءنا قرناً من تجارب العالم في البناء وأرى من الضروري إطلاق البناء وتشجيع العمران بطريقة مختلفة عن ذلك تماماً .وهنالك تجربة فاشلة أخرى هي شارع أربعين نموذجاً للتشوه البصري والمعماري والتناقض في التصاميم التجارية الخالية من الرقابة الهندسية لأبسط حقوق إقامة أية بناية عامة خصصت لعامة الناس وليس فقط للمالك فضلاً عن خمول القطاع الخاص في العمران في هذه المدينة .

يقطن مدينة الحلة حوالي مليون وربع المليون نسمة وهي مركز تجاري وصناعي وعلمي وزراعي فضلاً عن امتلاكها لمميزات أخرى مثل قربها عن العاصمة بغداد ووجود المواقع الأثرية حولها إضافة إلى كونها نقطة اتصال بين محافظات بغداد . كربلاء . النجف والقادسية . وتأسيساً على ما تقدم فأن المدينة قد توسعت بصورة أفقية وبشكل غير محدود ومستمر في التوسع رغم أن مركز المدينة يعمل في النهار بصورة كثيفة ومركزة وفي الليل فارغ من البشر إلا ما ندر .

وإذا ما أضفنا إلى أن المدينة تحتوي على جيوب مهمة مثل الإسكندرية والمشروع والمسيب والمحاويل والكفل والشوملي والحمزة وأبي غرق وهذه الجيوب لو نظمت تكون مدناً نموذجية في المستقبل وقللت

الفوارق بين المدينة والضواحي .

تمتاز شوارع مدينة الحلة بكونها موازية وعمودية على شط الحلة وضيقها وطولها من جهة وقلة المنافذ التي تربطها بالمركز من جهة أخرى حتى أنها في ساعات الذروة تغرق في الفوضى بما يثير الجدل والدهشة .

لمحات من تاريخ مدينة الحلة.

تمتلك كل مدينة متحضرة مخططاً عاماً فيه واقع ومستقبل المدينة ، وبعض الأبنية الأثرية المهمة التي تعكس تاريخ المدينة ، وعادةً تصمم فيه مخططات عمرانية تطويرية وتوسعية مبنية على أساس الدراسات المركزة ، والدائمة في المدينة ، إضافة إلى أن العمارة بصورة عامة تصنف إلى عمارة مصممة ، وعمارة شعبية عفوية تمثل واقع الطبقات الاجتماعية حسب دخلهم العام . (١١)

والعمارة التصميمية بصورة عامة تمثل الأبنية الحكومية والطرق العامة والجامعات والمدارس والمصانع والمؤسسات الحكومية المدنية والعسكرية والمخازن الحكومية الإستراتيجية ، إضافة إلى الحدائق ومشاريع الإسكان العام ، في حين العمارة الشعبية تمثل حركة القطاع الخاص والقطاعات الأخرى بصورة عامة حسب قوانين الملكية المتاحة سواء في العراق أو أي بلد آخر .

والعمارة الشعبية في مدينة الحلة لها الغلبة بسبب الظروف المعقدة التي مر بها العراق (ومن ضمن ذلك مدينة الحلة) ، ويمكن تقسيم العمارة الشعبية والمصممة إجمالاً في العراق ، وخاصة في مدينة الحلة

موضوع البحث إلى الآتي :

١-العمارة في مدينة الحلة ما قبل العباسيين .

٢-العمارة من الفترة العباسية لغاية الاحتلال العثماني .

٣-العمارة في فترة الاحتلال البريطاني .

٤-العمارة في فترة النظام الملكي

٥-العمارة بعد ثورة ١٩٥٨ لغاية ١٩٦٨ .

٦-العمارة بعد ١٩٦٨ لغاية نهاية القرن العشرين .

وقد لجأنا إلى هذا التقسيم لأنه يمثل الواقع في تاريخ العراق الحديث، حيث لازالت الشواهد المعمارية لهذه الفترات موجودة مما يسهل الحديث عنها وتحليل عمارتها حصراً في مدينة الحلة التي هي جزء من تاريخ العراق الحديث ، بغية معرفة الكيفية التي نشأ فيها المخطط العام للمدينة ، ومن ثم تسهل مهمة الدراسة والتحليل والمعالجة لوضع مخطط مستقبلي وفق خطط عمرانية حديثة .

العمارة في مدينة الحلة ما قبل العباسيين

وقعت الحلة تحت حكم أمراء متعددين ، وكان همهم الأول والأخير يتمثل في السيطرة على الحكم وكسب الأموال دون مراعاة الجوانب العمرانية ، غير أننا نمتلك عن الحالة العمرانية لمدينة الحلة بعض الملاحظات التي دونها بعض الرحالة الأجانب عند زيارتهم المدينة ، ومنهم ملاحظات الرحالة الألماني نيبور الذي زار الحلة عام ١٧٦٦م في عهد عمر باشا ، فقال : " ... وهي مدينة على جانب من السعة حتى في الوقت الحاضر ، إلا أنها تعج ببساتين النخيل والقليل من البيوت فقط ما هو مشيد بالطابوق المفخور ، في حين أن البيوت الأخرى أستعمل في بنائها الطابوق المجفف بالشمس ، وفي داخل المدينة جامع ذو منارة واحدة فقط ، بينما تشاهد في خارج المدينة جوامع أخرى متعددة منها المسمى بمشهد الشمس الشهير لدى الشيعة ، وربما كان ذلك هو السبب في المحافظة عليه ....." . (١٢)

والجدير –بالذكر– أن هذا المكان أصلاً قد شيده "بختنصر" الذي قال عنه "إنني شيدت في بابل معبداً بالآجر والقار للشمس التي تعد صاحبة السلطة المطلقة والحاكمة الناهية في بلاطي والمرجع الأعلى في المنازعات والاختلافات على مختلف أنواعها أي الرب شماس الذي يعد أكبر القضاة وكبير العالم . (١٣)

وقد أشرت السائحة الفرنسية "ديولافوا" عند زيارتها مدينة الحلة عام ١٨٨١م بعض الملاحظات ومنها ، قالت : " ... ومما لاحظته أن دور الحلة كلها قد شُيدت بمواد قديمة حتى أنني شهدت بعض الآجر وقد

نُقش عليه اسم نابوكدونسر "بختنصر" وأنهم قد أفادوا في إقامة تلك الأبنية من القار بدل الجص على عادة البابليين القدماء . تمتاز منازل الحلة كما هو الحال في بغداد بأنها مرتفعة الجدران ليس لها من الخارج منافذ أو شبابيك البتة ، كما أنها تحتوي ميزات وخصائص العمارة الشرقية وتملأ حدائق وبساتين الحلة غابات النخيل الكثيفة وأشجار الموز الجميلة ، ومن حسن الحظ أن هذه المدينة التي شُيدت كلها على نسق واحد وغرار غير جميلة ...." وتضيف قائلة ... " لم نر في مدينة الحلة بناية مهمة تلفت النظر قد شُيدت في العصر الإسلامي إلا مسجداً صغيراً شيدوه في ذلك الوقت في الطريق الذي يصلها بمدينة كربلاء وهذا المسجد يعرف بمشهد الشمس ومسجد علي ..." .

مشهد الشمس

يتسم هذا المكان بالقدسية الدينية والأهمية التاريخية ، وأعتقد أنه أقدم مكان حديث فضلاً عن كونه يشكل امتدادا للفتح الإسلامي ، إضافة إلى أنه لا يزال شاخصاً ويقدمون على زيارته من مختلف بلدان العالم .

يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة الحلة ، على طريق حلة – كربلاء وقد أطلق عليه هذا الاسم نسبة إلى الرواية التي تقول أن الإمام علي (ع) كان قد وصل إلى هذا الموضع في طريقه من صفين ، وقد قاربت الشمس إلى المغيب ولم يكن قد صلى صلاة العصر ، فدعى الله أن يعيد الشمس إلى كبد السماء بإذن الله قراب رمحين وسارت نحو الغروب بعد أن صلى فبُني هذا المشهد إكراماً لهذه الذكرى [١٤] [١٥] .

يتكون الموقع الحالي من المقام ذو المنارة المقرنصة التي تعود إلى العمارة السلجوقية والتي تعد أهم ما تأثر به البناء العراقي وهو طراز بناء الأضرحة والمراقد الدينية ومسجد ذو منارة حديثة .

والحقيقة إن أبنية مشابهة أخرى قد شُيدت في مناطق مختلفة من العراق وعلى سبيل المثال قبة ضريح ذو الكفل ، وقبة ضريح الإمام الدور ، وقبة ضريح السيدة زمرد خاتون (المعروفة بست زبيدة) ، وقبة ضريح الحسن البصري في الزبير ، وقبة عمر السهروردي (والمعروف بالشيخ عمر) ، وضريح الإمام الباقر في داقوق وأمثلة أخرى متعددة .

تستند هذه القبب على شكل سداسي أو مثمن ، وقبة مشهد الشمس تستند على شكل مثمن طول ضلعه ١،٨٠م ، وينتهي كل ضلع بجدار بارز في داخل الغرفة يمتد إلى ١،٣٠م ، وتكون عدد الأضلاع البارزة

ثمانية أيضاً . [١٦] أما القبة تمتاز بشكلها المخروطي المقرنص من الداخل والخارج بشكل صفوف بعضها فوق بعض ، ويتناقص عددها كلما ارتفعنا إلى القمة حتى تصبح بشكل رأس مئذنة كالفانوس ونجمة من الداخل . [١٧]

ومشهد الشمس الوحيد تقريباً لا يحتوي على ضريح .

إضافة إلى ما تقدم يحتوي المشهد من الداخل على زخرفة تبدأ من ارتفاع ٢،٥٤م ، وتتكون من أربعة صفوف من المقرنصات . [١٨] يحتوي الجدار الجنوبي على محراب مجوف ، ويتكون من امرزين زخرفيين على هيئة مقرنصات ، والزخرفة ملونة باللونين الأحمر والأسود وتعلو عقد المحراب آيات قرآنية ، ويعتقد أن القبة تعود إلى الربع الأول من القرن السابع الهجري ، والبعض الآخر يعتقد إلى بدأيته . [١٩]

في عام ١٩٧٨م تعرضت القبة المقرنصة لمشهد الشمس للسقوط بسبب القدم ، وقام المهندس شوقي جابر علي بترميمها، وأعاد بناءها بنفس طريقة البناء السابق ، وأحسن بذلك صنعاً أطال الله في عمره .[٢٠]

وحين رُممت ظهرت بعض الحجارة القديمة وكأنها تعود إلى آثار بابل ، وفيها كتابة ربما تعود إلى زمن بابلي .

رغم أن هذا المكان له من الأهمية التاريخية لكنه في فترة معينة كانت هنالك مقبرة صغيرة تيمناً بالمقام أصلاً زالت بالتدريج بعد توسع مدينة الحلة .

وفي يوم من كل عام يؤدون مراسيم الزيارة إلى هذا المقام زوار كثيرون تيمناً بمقام الإمام علي (ع) يطلبون فيه ما يتمنون (المراد) ،

وترمي النساء العباءة من أعلى القبة ، وفي حالة سقوطها على نفس الوجه المرمي ، فأن المراد سيتحقق ، وأن اختلفت أو تكورت فأن المراد لا يتحقق فضلاً عن زيارة كثير من الوفود الأجنبية الإسلامية .

وفي الثمانينيات من هذا القرن قامت الإدارة المحلية بإنشاء مجموعة من الشقق السكنية (البائسة الآن) بالقرب من مشهد الشمس ، وبذلك ارتكبت خطأً فادحاً ، أضّر كثيراً بتخطيط هذا الجزء من المدينة وتجاه هذا الجزء التاريخي المهم.

وأخيراً لم ينل هذا المشهد نصيبه من الاهتمام رغم مرور فترة زمنية طويلة على إنشائه. (٢١)

العمارة من الفترة العباسية لنهاية الاحتلال العثماني

وقعت الحلة تحت الحكم العباسي في أواخر أيامه ، حيث تميز هذا العصر في نهاية حكمه بالضعف ، ولكن بصورة عامة العباسيون ، عندما أسسوا الدولة العباسية في العراق ، وجدوا فيه إرثاً تاريخياً وثقافياً ومعرفياً له من الأهمية ما جعل الفنان المسلم يطور حياته ومفاهيمه الدينية ، والدنيوية بالشكل الذي أظهر العمارة العباسية أجمل وأروع البنايات (٢٢) ولكنها للأسف تركزت في المناطق المهمة وتحديداً في العواصم وأهملت جميع المناطق المجاورة باعتبارها توابع تؤدي الضرائب فقط ، ومن هنا كانت الحلة مغبونة في هذا الجانب المعماري ، وكل ما نعرفه عنها في ذلك الوقت ما قاله عن الحلة الرحالة العربي ابن جبير : "الحلة كبيرة ، عتيقة الوضع، ولم يبقَ من سورها إلا حلق من جدار

ترابي مستدير بها ، وهي على شط الفرات ، يتصل بها من جانبها الشرقي ، ويمتد بطولها ، ولهذه المدينة أسواق حافلة جامعة للمرافق المدنية ، والصناعات الضرورية، وهي قوية العمارة ، كثيرة الخلق ، وألفينا بها جسراً عظيماً معقوداً على مراكب كبار متصلة من الشاطئ إلى الشاطئ يحف بها من جانبها سلاسل من حديد كالأذرع المفتولة عظماً ، وضخامة تربط إلى خشب مثبتة في كلا الشاطئين تدل على عظم الاستطاعة ، والقدرة ، أمر الخليفة بعقده على الفرات اهتماماً بالحاج واعتناء بسيله ، وكانوا قبل ذلك يعبرون بالمراكب ، فوجدوا هذا الجسر قد عقده الخليفة ، وعبرنا الجسر ظهر يوم الأحد المذكور، ونزلنا بشط الفرات على مقدار فرسخ من البلد ، وهذا النهر كاسمه فرات هو من أعذب المياه وأخفها ، وهو نهر كبير زخار تصعد فيه السفن ، وتنحدر ، والطريق من الحلة إلى بغداد أحسن طريق ، وأجملها في بسائط من الأرض ، وعمائر تتقل بها القرى يميناً وشمالاً ، ويشق هذه البسائط أغصان من ماء الفرات تتسرب بها وتسقيها فللعين في هذه الطريق مسرح الشراح ، وللنفس مزاد انبساط وانفساح ، والأمن فيها متصل بحمد الله تعالى " . [٢٣]

توالت على الحلة حكومات مختلفة بعد نهاية حكم العباسيين ، الذي تلاشى في عهد المتوكل (١٢٥٨) ، ومنها الدولة الايلخانية [٢٤]، ومن ثم الجلائرية ، ويروي الرحالة ابن بطوطة عن رحلته إلى الحلة في عهد الشيخ حسن : (... فنزلنا مدينة الحلة ، وهي مدينة مستطيلة مع الفرات ، وهو يسير فيها ولها أسواق حسنة جامعة للمرافق والصناعات ،

وهي كثيرة العمارة وحدائق النخل منظمة بها داخلاً وخارجاً ، ودورها بين الحدائق ولها جسر عظيم معقود على مراكب متصلة منتظمة فيما بين الشاطئين إلى خشبة مثبتة بالساحل . وأهل هذه المدينة اثنا عشرية ، وهم طائفتان أحدهما تعرف بالأكراد والأخرى تعرف بأهل الجامعين والفتنة بينهم متصلة والقتال قائم أبداً)[٢٥] وأنا بدوري أتساءل !

من أين يأتي العمران في مثل هذه الظروف ؟ بالإضافة إلى توالي أنواع مختلفة من الحكومات ، توجد نزاعات محلية ، من المؤكد تعود أيضاً إلى خراب وتوقف في العمران ، وبعدهم جاء الفرس وصراع مع الترك ودول أخرى مختلفة مثل الكولات والمماليك والخروف الأسود وغيرهم لحين قدوم العثمانيين .

كل هذه الظروف الصعبة والمعقدة في تاريخ العراق بصورة عامة والحلة تحديداً ،أثرت على الحلة ، بل في كثير من الأحيان أدت إلى إبعاد بعض أهل الحلة ، وهجرة البعض الآخر، وقدوم آخرين إلى الحلة ، وكانت العمارة بطبيعة الحال تتأثر تأثراً واضحاً ، مما يعود إلى تشكل معماري هجين غير موروث بشكل سلفي بسبب عدم الأستقرار ، وقد برز هذا واضحاً في عمارة المساجد (التي سنأتي على ذكرها بالتفصيل) وحين استعرض هذا التاريخ برمته عن مدينة الحلة قاصداً الوصول إلى مسببات تكوين الأشكال المعمارية المختلفة ، والتي بمجموعها كونت المخطط العام للمدينة وباختصار مجموعة من التراكيب التي تشكل برمتها فوضى حضرية لا أكثر !

العمارة في فترة الاحتلال العثماني

زادت النكبات والمحن والتخلف على يد المستعمرين الجدد الجهلة العثمانيين ، الذين توارثوا الحكم على مدينة الحلة، لذا أصبح همهم الأساسي ابتزاز خيرات المدينة وسلب ثرواتها، والذي زاد من التدهور العمراني وتدهور الحياة الاجتماعية والثقافية وسرقة آثار العراق وتدميرها ، حتى إن الإنكليز كانوا يأخذون الموافقات من السلطات في الأستانة للتنقيب وسرقة آثار العراق [٢٦] كما تمثل ذلك في رحلات أوستن هنري عام (١٨٤٣-١٨٤٥) ، إلى آثار النمرود في نينوى ، حيث استطاع لايارد التوصل إلى سفير بريطانيا لدى الباب العالي في القسطنطينية سير سترافورد كاننغ عبر توصية من العقيد تيلر المقيم الممثل لشركة الهند الشرقية في بغداد آنذاك وحصوله على الموافقات اللازمة للتنقيب والسرقة [٢٧] ولكن من المؤسف إن الاحتلال العثماني للعراق استمر فترة طويلة الأمد ، وفي هذه الفترة تقلصت مساحة المدن ، وأصبحت رقعتها محدودة داخل أسوار تحيط بالمدن من جميع الجهات وذلك بسبب الدفاع عنها في الملمات ، ولهذا السبب تحديداً صارت الدور محاطة من جميع الجهات.[٢٨]

ويتميز طراز البيوت في ذلك الوقت بشكل مثل طبيعة الحياة الاجتماعية والاقتصادية لأهل المحلة الواحدة ، لذلك نجد جميع المواد الإنشائية متشابهة إضافة إلى تشابه الشكل والخريطة ، وهنالك بعض الدور لازالت ماثلة لحد الآن ، ولكن معظمها مرشح للاندثار إذا لم يكن خرباً ومهجوراً . ومن الجدير بالملاحظة هنا إن كثيراً من دور الحلة

التراثية القديمة قد تأثرت بسبب أحداث سنة ١٣٣٥هـ في فترة الحكم العثماني أثناء دخول عاكف بك الحلة .

إن الدور القديمة التي تمثل هذه الفترة ، تطل على أزقة صغيرة ، نسميها (عكود) و (درابين) و(مجازات) ، بعضها يؤدي إلى مكان معلوم نطلق عليه بالعامية (يخَرج) وبعضها مغلق نسميه (ميخَرج) ، وأكثرها مبنية بصورة غير مستقيمة ، ونادراً ما تتجاوز الثلاثة أمتار ، ولا تمر منها العجلات أو العربات ، وهي مخصصة للمشاة و (الدواب) ، وكان سكان المحلة يعرف بعضهم البعض إلى حد معرفة كل ما يجري داخل البيت ، وتسودهم روح التفاهم في أغلب الأحيان .

وكانت الحلة تتكون من المحلات التالية : في الصوب الكبير :

١-الجامعين

٢-الطاق

٣-جبران

٤-المهدية

٥-الجباويين

٦-الأكراد

٧-التعيس

أما في الصوب الصغير تتكون منه الوردية والكَلج وگريطعة[٢٩]

البيت الحلي

تتكون الحلة في هذه الفترة من مجموعة دور ، وكانت تتشابه في الشكل ومواد البناء المستعملة ويمكن إيجاز مواصفات الدار الحلي بالشكل الآتي :

يطل الدار على الزقاق بواسطة باب خشبية ذو فردتين من خشب الجاوي أو الصاج ، ونادراً ما تكون من خشب الچام أو غيره ، وقياسها يتراوح بين (١،٢٠×١،٥×٢ م الارتفاع) ، وتكون في أغلب الأحيان مزودة بمطرقة تعمل كمنبه للقادمين ، وذات أشكال جميلة منها ما يشبه رأس الأسد أو النمر ، وتتصل الباب بصحن الدار الذي غالباً ما يكون مفتوحاً ، وتطل عليه غرفة الضيوف والمطبخ ، ومكان جلوس العائلة والسلم ، وفي أغلب الأحيان تكون غرفة الضيوف في الأعلى وتطل على الزقاق وخاصة عند الطبقة المترفة (الأغنياء) ويكون هذا الصحن مفتوحاً من الأعلى في الغالب وتطل عليه جميع الغرف في الطابق العلوي الذي يحتوي بدوره على ممر مربع ومسيج (بمحجر) من الخشب وفي مراحل لاحقة طُعّم بالحديد .

وتطل واجهة الدار عبر (طليع) فوقه الشناشيل (أي مقعد الشاه) ، أما دور الأغنياء كانت أكثر اتساعاً وأكثر جمالاً فضلاً عن احتوائها على إسطبل للخيل ومكان لربط الفرس أمام الدار وفي مواقع متميزة في المدينة إضافة إلى احتواء الدار على غرفة أو أكثر مخصصة للخدم .

وتحتوي معظم البيوت على بئر وبدگير لغرض التهوية ، ويستعمل السرداب لحفظ الأغذية والنوم في فصل الصيف اللاهب ومعقود

بالطابوق أو الآجر بشكل قبب تسمى (عرقچين) . وهو غطاء من نسيج القطن يوضع فوق الرأس تحت (العقال) .

وفي بعض الدور يوجد أكثر من سرداب فضلاً عن إن بعض السراديب ينزل البدگير فيها إلى فتحة (الزنبور) يوضع عليه مشبك من الخشب أو الحديد تستعمل لغرض تبريد الفواكه أو (الشراب) [٣٠]

المواد المستعملة في بناء الدار الحلي في الفترة العثمانية

كانت المواد الأولية المستعملة في البناء تتكون من طابوق الكورة والجص والأرضيات بالفرشي ، وتطلى الجدران بالجص وفي الدور الأكثر غنىً تغلق جدران بعض الدور (بالجفقيم) وتطعم بالخشب والقوغ والتسقيف بالجذوع ويكسوها الطين ، وكثيراً ما تستخدم الأعمدة المتكونة من الجذوع المزخرفة من الجهة العليا وبأشكال متنوعة تحيط بصحن الدار وفوقها الممر المحاط بالحجر إضافة إلى استخدام الخشب في الجدران التي تحيط بالدار ، وأغلب الدور القديمة في الحلة مبنية بطابوق آثار بابل المكون من ألفرشي السميك ويتكون من طبقات يتغلغلها الطين وأجزاء الطابوق الناتج عن طريق الهدم ويقارب عرضه المتر ويحتوي على روازين تستعمل للديكور من جهة ولحفظ الكتب أو تعليق بعض التحفيات عليها من جهة أخرى . والشبابيك الداخلية التي تطل على صحن الدار كثيرا ما تتزين بالنقوش الخشبية الجميلة فضلا عن استخدام الطلاء في مختلف مناطق الدار إضافة إلى زخرفة تعلو باب الدار

الخارجية إما نظام المجاري في الدور القديمة فكان على شكل بالوعة في الأسفل ترتبط مع نظام المياه الجوفية الطبيعية، ومع ظهور الشيلمان بدأت الدور الأكثر غنى والتي تطل على الشوارع الرئيسية أو القديمة من المركز تطعم بالشيلمان وخاصة الطليع وطعمت الشناشيل بالخشب الجميل أو المطعم بالحديد وطليت بألوان زاهية وتفننوا في زخرفة الباب الأمامية وقسم منها طعم بشبابيك حديد فوقها زخرفة من الجص أو قبب مزخرفة حيث تعبر عن مكانة أهل الدار.

ومن الجدير بالذكر إن دور الطبقات الفقيرة (دون الوسط) كانت الباب تتكون من فردة خشبية واحدة تعلوها منطقة حديدية ومن خشب ألجام ويعلوها قوس معقود بطابوق الكورة وتكاد خريطة البيت من البساطة بحيث لا تتعدى غرفة النوم والمطبخ الصغير إضافة إلى حمام مع مرافق صحية مشتركة ومفتوحة من الداخل والسقف من الجدوع والطين . أما المناطق خارج مركز الحلة فكانت مبنية بالطين ومسقفة بالقصب والبردي ومغطاة على شكل جملون أو نصف دائري أو مقوس أو مائل على إحدى الجهات ويتكون من غرفة واحدة وبشكل مستطيل وفي أحد الأضلاع القصيرة توجد الباب ويقابلها في الضلع الأخير شباك ويستعمل للنوم وباقي الفعاليات اليومية كالطبخ والخبز تجري خارج الدار وفي أحيان أخرى مثل المضايف تستعمل أعمدة من الخشب أو الجذوع فوقها جسر من الخشب وتستعمل نفس طريقة البناء السابقة الذكر في التسقيف . وكثيراً ما تتعرض هذه الدور في أيام المطر الغزير إلى الهدم من بعض الأجزاء وكانت طريقة العمل جماعية بطريقة (العونة) أي

تعاون أبناء العم أو القرية الواحدة لتشييد دار لأحدهم خاصة عندما يتزوج ، واختص الفلاحون العراقيون بهذه الدور وفي المنطقة الموغلة في الزراعة البعيدة عن الدار تستعمل البيوت من القصب وسعف النخيل للاستراحة والأرض ومن لهيب الشمس اللاهب في فصل الصيف .

العمارة في مدينة الحلة – في فترة الاحتلال الانكليزي

ما إن انتهى الحكم العثماني ، حتى قدم مستعمر باغٍ آخر، وهو الحكم الانكليزي ، الذي تميز بالاستبدأد والتخلف وابتزاز وسلب ثروات الشعوب التي وقعت تحت احتلاله ، والذي كان يخطط كي يبقى ابد الدهر مستعمراً وظالماً وناهباً كل مقدرات العراق ، حيث إن الانكليز بدأوا بدخول العراق في عام ١٨٣٠ وربما قبل ذلك ، وهي مرحلة التنافس الاستعماري ، ثم تطورت مصالحها في عام ١٨٦٠ من خلال تأييدات جيزني ولنج وولسن ولونكريك وآخرين.[٣١]

حيث إن الانكليز كثفوا وجودهم في أواخر أيام الحكم العثماني وسرقوا ونهبوا كمية كبيرة من آثار العراق التي ما تزال شامخة في متاحف انكلترا بانتظار الفرصة المناسبة لاحتلال العراق .

دخلت القوات الانكليزية العراق في خريف عام ١٩١٤ مدينة البصرة عبر منطقة الفاو وأكملت احتلال العراق عام ١٩١٨ ، واستمرت في الاحتلال حتى آب ١٩٢١ . [٣٢]

اتسمت العمارة بين عام ١٩١٤–١٩٢١ بالعمارة العسكرية البحتة ، حيث تميزت بتخطيط وإنشاء أبنية عسكرية دفاعية وهجومية ، وأغلبها

في بدأية الأمر مؤقتة لأحكام السيطرة الأولية مثل المعسكرات والمستشفيات العسكرية لمساعدة الجرحى من الجنود الانكليز والنوادي ودور السينما التي اختصت بترفيه الجنود والضباط ، فضلاً عن إنشاء دوائر البريد والبرق والهاتف لمساعدة العسكريين في الاتصال بذويهم وتأمين الاتصال العسكري إضافة إلى المطارات ومحطات السكك الحديدية . وعندما أكتمل احتلال جميع المناطق في العراق ، سعت القوات الانكليزية لتثبيت وجودها ، فأقامت أبنية ثابتة أي انتقلت إلى مرحلة تثبيت السلطة فضلاً عن إقامة النصب والتماثيل حيث إبتداءً بنصب الجنرال مود فاتح بغداد، وقد سخرت القوات الانكليزية كل الأبنية والطرق التي شقتها لخدمتها ، وقدم الشعب العراقي أروع البطولات المطرزة بالتضحيات ، وتمثل ذلك في ثورة العشرين التي أذاقت العدو درساً بليغاً لن ينساه لغاية اليوم فضلاً عن تمسك العراقيين باللغة العربية دون اللغة الانكليزية والتركية والفارسية رغم طول بقاء مدة الاستعمار تحت هذه القوى الباغية ، ويمكن تقسيم العمارة في هذه الفترة إلى قسمين :

الأول : العمارة الانكليزية التي اهتمت بالقوات الانكليزية حصراً كما أسلفنا آنفاً والتي اتصفت بالكلاسيكية بسبب طبيعة وضع العمارة في انكلترا آنذاك فضلاً عن بعض التأثر بالعمارة الشرقية الهندية نتيجة طول مدة احتلال انكلترا للهند .

أما القسم الثاني فيمكن تسميته بالعمارة الشعبية العامة ، والتي اتصفت بالعفوية والتلقائية البحتة ، وكانت امتداداً للعمارة التي سبقت

عصر الاحتلال سواءً في العراق أو في منطقة الحلة تحديداً ، عدا تطعيم بعض الأبنية بالشيلمان وخاصة الطليع ، واستخدام أعمدة الحديد فيها إضافة إلى تطعيم بعض الشبابيك بالحديد مع الخشب السائد آنذاك وتغير طفيف في الأبنية الشعبية .

وضعت في هذه الفترة بعض الأسس لرسم صورة جديدة للتطورات العمرانية التي رافقت هذه الحملة ، والتي حملت معها الأحلام المريضة للانكليز في السيطرة بعيدة المدى ، وكما هو معلوم أن الحملات الانكليزية كانت تبحث عن الموارد التي تخدم مصالحها وتغذي جيوشها ، وفي الحلة بدأت بوضع أولى المرتكزات في سكة الحديد ومحطة القطار والحامية (لاحقاً معسكر الحلة) لتكون الأساس في رفد قواتها باتجاه بغداد حيث كان الحاكم (العسكري) السياسي لمدينة الحلة الميجر بولي ، وكان قائد حامية الحلة الكولونيل لوكن ، وكان خط السكة الحديد يربط الحلة ببغداد وآخر يربطها بالبصرة وثالث يربطها بقرية الكفل ، وتبعتها بأن أنشأوا جسراً لعبور القطار عليه يقع شمال مدينة الحلة إضافة إلى توسيع الشارع العام الذي يخترق الحلة من الشمال إلى الجنوب .

ورافق دخول القوات الانكليزية للعراق – دخول مواد جديدة في البناء ظهرت بدأية في أوربا نتيجة التطور الذي بدأ يظهر في نهاية القرن التاسع عشر – بدأية القرن العشرين مع ظهور تيارات مختلفة في العالم تنادي بضرورة تغيير العمارة القديمة والانتقال من السيطرة الكلاسيكية إلى التمدن والحديث سمي لاحقاً بالحداثة ، وعلى أثر ذلك تم

إنشاء مبان أخرى مثل دائرة المحاكم (العيادة الشعبية الآن) والقائمقامية (دائرة الضريبة الآن) ومعسكر المحاويل ومن ثم انتقالاً للأطراف لأحكام السيطرة .

والغريب في هذه الأبنية أنها كانت استنساخاً لتجربة انكلترا في الهند رغبة منهم في تحضير العراق ، وعلى ما يبدو أن انكلترا وأوربا لم تعرف الهوية المعمارية بسبب انشغالها بالاحتلال ، وربما السبب الآخر هو أنها اعتبرت هذه المستعمرات سلة خيرات عليها أن تعطي فقط ، علماً إن جميع مصممي ومنفذي الأبنية كانوا ضباطاً مهندسين متطوعين في الجيش الانكليزي وممن تأثروا بالأفكار الانكليزية في الهيمنة والسيطرة بل ومنهم من خدم مع القوات الانكليزية في مستعمرات أخرى ومنها على وجه التحديد الهند ومن هنا كانت العمارة في مدينة الحلة والعراق انعكاساً للواقع السياسي الانكليزي في السيطرة الاستعمارية طويلة الأمد .

تميزت العمارة في فترة الاحتلال باستخدامها مبدأ التناظر والتماثل في التصميم واستخدام فكرة الممر المتصل والمدخل المركزي فضلاً عن مراعاتها لاتجاهات الريح واستثمارها واحتسابها لدرجات الحرارة والشروق والغروب ومما عرف لاحقاً بفيزياء البناء ، ومن هنا كانت الجدران بعرض ستين متراً واستثماره لمادة الطابوق التي كانت تستخدم في العراق منذ قرون طويلة وباستخدام مادة الجص والنورة في البناء وكان واضحاً الاهتمام بواجهات المباني وإهمال الواجهات الجانبية ، وكانت المباني ذات ارتفاعات عالية لغرض تقليل درجات الحرارة في فصل الصيف

اللاهب وكذلك النوافذ التي لا تزيد عن المتر الواحد والمطعمة بالحديد وأظهرت الشبابيك الحديدية بظهور المقاطع الحديدية للشبابيك وشيوع التسقيف بالعقادة وباستخدام حديد السكة وذات المسافات المحدودة التي لا تزيد عن الأربعة أمتار واتضح ذلك جلياً في بناية محطة القطار وبناية المحاكم الكبرى ، ومن ثم انتقل مركز الحلة من ساحة سعيد سابقاً (جسر سعد حالياً . أو كما يسمى بالعامية جسر الهنود) هذا الجسر البائس ! إلى موقع القائمقامية والمحاكم ولاحقاً البلدية وفي الحقيقة بوضع هذه المرتكزات والمفاهيم الجديدة وضعت اللبنة الأولى لرسم الصورة المعمارية لتكوين المدينة العراقية .

تقع مدينة الحلة في الطريق بين العاصمة والجنوب وكان مهماً جداً السيطرة التامة عليها من قبل قوات الاحتلال لتأمين قواتها ، مما أثر كثيراً على عمارتها وخاصة بعد انسحاب القوات العثمانية منها فضلاً عن تعرضها في عام ١٩١٦ إلى أضرار كثيرة في عمارتها بسبب أحداث المقاومة التي أبدأها الحليون في مقاومة القوات الانكليزية الباغية ، حيث كانت قاسية في الرد مما اثر على أبنية تراثية كثيرة دمرتها قوات الاحتلال .

مقالات

في شوارع الحلة

إحياء العمارة في الحلة

كثيراً ما أسمع كلمات جميلة على كتاباتي حول العمارة في مدينة الحلة ، وفي نفس الوقت أسمع نداءات من الأخوة القرّاء عن الحلول اللازمة أو المقترحات لإحياء عمارة مر عليها زمن طويل من الركود والاندثار بعد أن كانت يوماً ما إحدى عجائب الدنيا السبع فيها و صاحبة أثر تاريخي لمدينة مهمة ، هي مدينة بابل ، وفي الوقت الذي أسجل شكري وتقديري للقرّاء الأعزاء وأسجل إعجابي بتنامي الوعي المعماري للحليين الذين يحبون مدينتهم ، أود أن أسجل بعض الملاحظات المهمة حول تاريخ مدينة الحلة المعماري ، حيث أنها عانت من الركود لأسباب عديدة أهمها اضطراب الوضع السياسي والاقتصادي العام الذي رافق تاريخ هذه المدينة ، وخاصة في القرن الماضي ، وبطبيعة الحال أثر ذلك بشكل سلبي على تكوين المدينة ، وكذلك أسجل الخلل في النظام الهندسي العام في بناء المدينة العراقية فضلاً عن كون العمارة هي فن وعلم يعكس الواقع العام بفضل تجدد المتطلبات العامة في تطور البلد والازدهار في هذا الجانب يعكس القيم العامة في آثار معمارية تخدم جميع الطبقات ، ومن الطبيعي في بلد مثل العراق عانى من التكالب الاستعماري الشيء الكثير إضافة إلى الحروب المتمثلة في نهاية القرن الماضي للحفاظ على السيادة قد تشظى هذا في ظهور المدينة بوضعها الحالي ، ولإعادة وإحياء مدينة مثل الحلة يتطلب كثيراً من الوقت والجهد والمال والتخطيط لاعمارها ، بعد تجديد أولويات المدينة التي بدأت تطفو على السطح قبل السكن والمجاري والماء

الصافي والنقل والخدمات ، ويقيناً أن ذلك يحتاج زمناً طويلاً واقتصاداً عالياً للنهوض من جديد ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك تنامي عدد السكان والهجرة من الريف إلى المدينة ، وتطور التعليم وزيادة الأداء لمؤسسات كثيرة ، والحاجة إلى مؤسسات أخرى في تأمين كثير من المتطلبات ، ولا يمكن إحياء مدينة بين ليلة وأخرى ، ولكن السعي مطلوب في تخطيط المدينة وهنا تواجه المدينة مشكلة أخرى هي مشكلة قانون البناء الذي مر عليه دهر ولم يتغير بل أصبح حجر عثرة كما يقال في اتجاه تطور المدينة العراقية ، حيث أنه قانون قديم مضى عليه أكثر من ثمانين عاماً ، إضافة إلى ارتباطه بقوانين عامة أخرى مثل قانون الاستهلاك وقانون التعويض وحرية البناء ، فضلاً عن عدم وجود قانون يشجع المستثمرين في إنشاء عقارات ذات مردود عام يشجعهم من خلال المورد بسبب ضعف الحالة الاقتصادية العامة للمواطن وضعف التنمية بشكل عام ، وإذا ما أضفنا إلى ذلك مسألة التسهيلات والقروض التي يجب أن تطلق لنفسح المجال أمام الاستثمار وهذا يرتبط بالقانون الحالي للبنوك بسبب الارتباط بالقوانين العامة .

أن عدم وجود ميزانية خاصة بالمدينة ، فضلاً عن عدم وجود مؤسسة تقود عملية التخطيط والبناء والإشراف أيضاً تمثل أحد مواطن الخلل في تكوين المدينة بهذا الشكل غير المنتظم وبغية الوصول إلى حلول مناسبة لفك هذا الارتباط لابد من تغيير في كثير من القوانين وتعديلها على أن يرافق ذلك وعي وتعاونٌ من جميع الطبقات ، وهذا يرتبط أيضاً بكثير من النواحي الاجتماعية في المجتمع العراقي التي

لازالت تحتاج جهداً استثنائياً في التنظيم والإدارة .

ويبقى الأمل يحدونا في تجدد وتطور القانون بما يفسح المجال لبناء مدينة عراقية عصرية ذات هوية مميزة يشار إليها بالبنان كما يشار إلى تاريخ مدينة بابل وهذا طموحنا جميعاً .

شارع عشتار (٤٠)

قلما تجد شارعاً في مدينة ما لا يحمل تاريخاً أو عبق الماضي ، وقد يصور مرحلة مهمة تمر بها المجتمعات على اختلاف ثقافتها ودخلها وتقاليدها وعاداتها ، وهو يترجم كل ذلك عبر رموز معمارية نطلق عليها أبنية لها وظيفة أساسية أولية هي إيواء الناس سواءً سكناً أو عملاً ، فضلاً عن كون الشارع يمثل هوية لأهل المنطقة ، وهو انتماء تحدده روابط اجتماعية عامة تعارفوا عليها بالأصول والسلام والزواج والصداقات والديانات ، وفي المجتمعات الشرقية تمثل هذه الأعراف أحد أهم المبادئ في تشكيل الحي السكني أو المنطقة ، وفي مدينة الحلة تكون بهذا الشكل شارع أربعين (باعتبار أن عرضه أربعين متراً) ولاحقاً سمي عشتار .

يربط الشارع ساحة الأم بمنطقة باب الحسين تيمناً بالشارع المؤدي إلى كربلاء حيث مرقد الإمام الحسين (ع) وأخيه العباس (ع) .

تكون الشارع في منتصف القرن العشرين ، حيث إبتداءً شارع سكني تقع عليه الأحياء : الماشطة ومصطفى راغب والقاضية ودور الضباط وحي شبر من جهة ، ومن الجهة المقابلة المرتضى والجمعية

وحي الحسين والكرامة وكانت هذه الأحياء تتكون بالتسلسل والتلاحق حسب احتياج وتوسع المدينة الذي ظهر بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بشكل واضح بسبب ازدياد الهجرة من الريف إلى المدينة وظهور بوادر التمدن تتضح جلياً على المجتمع الحلي .

وفي بدأية الثمانينيات بدأت وظيفة الشارع تتغير من شارع سكني إلى شارع تجاري وظهور المحلات من واجهات البيوت أولاً ثم بدأت العمارات تتنامى مثل البراعم أو أقلام ألجوري ، ونتيجة الحاجة الماسة إلى الخدمات المختلفة للأحياء المجاورة . لكن الذي حدث أن هذه العمارات لم تكن بالمستوى المطلوب لأنها عكست الفوضى المعمارية العامة التي شهدها العراق بعد الحرب العراقية الإيرانية ، فضلاً عن عدم تقبل العراقي للأبنية العمودية وخاصةً في السكن إضافةً إلى اجتياح فكرة المكاتب على الأبنية التجارية رغبةً من القطاع الخاص في الحصول على أكبر دخل من استثماره للعقار قد حول الشارع إلى مجموعة تراكيب معمارية غير كفوءة وذات تشوه بصري ، وأشكال غير منتظمة في حقيقة الأمر عبرت عن واقع دخل الفرد العراقي أي اضطرابه وعدم انتظامه بسبب الظروف البالغة التعقيد التي مر بها العراق . حتى أن الشارع قد تغيرت فيه الضوابط الهندسية أكثر من مرة ، وهذا بدأ واضحاً في بعض الأبنية المختلفة في الارتداد عن مستوى موحد عام . فضلاً عن كون الشارع غير منتظم في الاستقامة بسبب تكوينه العفوي والتدريجي وقد يعود ذلك إلى طريقة الاستهلاك للأراضي والتوسع التدريجي للأحياء المجاورة إضافةً إلى عدم انتظام الأبنية في الارتفاعات بسبب عدم تكامل

البناء الهندسي للأبنية وعدم وجود قانون يتابع عملية انجاز الأبنية وفق الخرائط المعدة سلفاً للتصاميم المعمارية . ونتيجة لذلك تحولت كثير من المناطق المجاورة للشارع إلى خرائب وأضاف إليها أعباء جديدة زادت من الفوضى والإرباك مثل مصطفى راغب والماشطة ولاحقاً الأحياء الأخرى ورغم كل التراكيب المعمارية غير المنتظمة لكن يبقى شارع أربعين شارعاً يمتلك حيوية خاصة لجميع أهل الحلة كونه يقع في وسط المدينة من جهة ، ومن جهة أخرى يمثل انتماءً وسكناً ومقر عمل ومكاناً لتلاقي الأحبة والأصدقاء وقضاء الوقت واقتناء الحاجات وهو جزء من مدينة نحبها جميعاً .

شارع المكتبات

يبدو لي أن أي شارع له من الخصوصية ما يميزه عن غيره ، ولكل شارع سمات تختلف من شارع الى آخر ، ومثل هذه الشوارع لا تتميز فقط بالمكانة والعمر والوظيفة ، أو بنوعية الأبنية المشيدة ، بل تتميز بعدد المارة ، ولا أدري على وجه التحديد ما الذي يجعل هذا الشارع بهذا القدر من التمييز عن غيره من الشوارع الأجمل والأفضل ، والأكثر سعة للمارة، حتى انك حين تمر في هذا الشارع المزدحم ، وكأنك تتنفس كمية أقل من الأوكسجين ، في حين غيرك يعتبر مروره في هذا الشارع ضرورة يومية تقوده إليه قدميه ، حتى دون دراية في بعض الأحيان .

وشارع المكتبات في مدينة الحلة هو أحد هذه الشوارع المزدحمة بعدد

المارة من الصباح حتى يطرق الليل الأبواب ، رغم أن هذا الشارع من البؤس ما يثير الشجن في كثير من الأحيان ، وحين تنظر في وجوه المارة فيه ، الذين يتعذر حسابهم أو تقديرهم ، ترى إن كل وجه يحمل مئات القصص وألواناً من العذابات الإنسانية التي لا تنتهي .

يقيناً أن المارة جميعهم يشعرون بالانتماء إلى هذا المكان كوحدة مجردة بعيدة عن تفاصيل الشارع المعمارية التي تكاد لا تشتغل معمارياً بسبب وحدة الوظيفة ، وبسبب غياب النص المعماري البصري المؤثر في العين إلى انشغال العين بالمؤثرات الجانبية الأخرى المتمثلة بكمية هائلة من العرض غير الطبيعي للأشياء بالسلع التي تحمل اختلاف التفاصيل في ملء بؤرة العين وانشغالها بالتفكير باصطياد الحاجة وفق محدودية القدرة على الإنفاق .

وشارع المكتبات يؤدي وظائف أخرى غير معلنة منها وظيفة التلاقي مع الناس فضلاً عن وظيفة نقل الحدث غير المسموع ، إذا ما أضفنا له وظيفة التخلص من الوقت الإضافي الذي يهدر بالسلام والكلام ، وكما يقال القيل والقال .

على ما يبدو أن مثل هذه الشوارع يتوجب دراستها بشكل مفصل لمعرفة الأسباب والدوافع التي كونتها بهذا القدر من الأهمية . وحين تمعن النظر في واجهات المحلات التي تفضي الى أجزاء متشظية من القطع غير المتجانسة والمرتبكة إضافة الى الأخرى الطويلة المتصلة والملتوية والمتشابكة مع بعضها بتقاطعات تفضي الى عوالم مختلفة .

ورغم أن عدد المكتبات أصبحت أقل مما كانت عليه سابقاً، لكن لا

زال هذا الشارع يحتفظ بنفس الحيوية ، بل إنها تضاعفت ، ورغم أن المنطقة اليسرى منه تعرضت للهدم (الگص) ومن ثم بنائها بطريقة المسطحة بأبنية طريفة ، الغرض الأول منها تجاري بحت لغرض الاستفادة من الطابق الأرضي ، كما هو حال الجهة اليمنى القديمة التي لم تتأثر بأعمال التجديد ، وأعمال التجديد هذه من الطرافة ما جعلت المنطقة تبدو وكأنها من قديم الزمان ، وإذا ما أمعنت النظر فيها تجد حتى طريقة البناء تمت بطريقة أقرب الى البدائية ، وكأننا لا زلنا نجهل الجديد ، إضافة الى أن هذه الأبنية حتى لا تشابه عمارة الخمسينات التي لا تخلو من إبداع وجماليات ليس فقط للبناية بل وللمكان برمته .

شارع (٦٠)

يلتف شارع (٦٠) حول مدينة الحلة ، بشكل مقوس ، ويكاد يكون أطول شارع فيها ، ومن أسمه الذي يمثل عرضه ستين متراً ، وفيه جزرة وسطية بعرض الشارع ، وكان مخططاً له أن يلتف حول مدينة الحلة ليكون طريقاً خارجياً لسيارات الحمل والأجرة التي لا ترغب المرور بمركز مدينة الحلة فضلاً عن السيارات الأخرى .

وبصورة غير محسوبة ، وبشكل تلقائي ، أحتل هذا الشارع مكاناً يكاد يكون وسط المدينة حيث تحول إلى شارع سكني ، لكنه بقي على وظيفته الأولى ، ويكاد يكون المخرج الوحيد من الحلة وخاصةً وهي تربط بين عدة محافظات .

وفي محاولة لدراسة هذا الشارع ، حاولت حساب عدد السيارات

المارة في الساعة الرابعة وخمسة وثلاثين دقيقة عصراً من يوم الأحد ٢٠٠٠/١١/٨ وهذا الوقت لا يمثل أحرج الأوقات أو أكثرها ذروة وفي منتصفه بالتحديد حيث بلغ عدد السيارات المارة خلال خمس دقائق (٨٠) سيارة ، وهذا يعني أن عدد السيارات المارة خلال دقيقة واحدة يبلغ (١٦) سيارة ، وربما يمكن عده معدلاً عاماً إذا ما أضفنا إليه أوقات الذروة وهي بدأية الدوام – نهاية الدوام – أوقات الأعياد – أوقات زيارة المقدسات – الاحتفالات .

حيث إن (١٦) سيارة في الدقيقة ×٦٠ دقيقة في الساعة ×٢٤ ساعة = ٢٣٠٤٠ سيارة في اليوم ×٣٦٠ يوم في السنة =٨٢٩٤٤٠٠ في السنة الواحدة .

ولو أمعنا النظر في هذا الرقم المخيف الذي يكاد يقترب من نفوس العراق ، نجد أن عدد الحوادث في هذا الشارع مخيف أيضاً .

وقد سعت الجهات المعنية إلى جعل هذا الشارع أكثر حيوية حيث أضافت إليه مرآب الحلة الموحد ومجمع سيارات المواد الإنشائية إلى جانب مجمع الأبنية الإدارية وبالرغم من كل هذا فهو يفتقر إلى الاهتمام الذي يتناسب وحيوية شارع مثل شارع (٦٠) .

الطريف في هذا الشارع الطويل أنه لا يحتوي على مخارج (تؤدي من وإلى) مركز المدينة! إلا من جهات محدودة من البدأية والنهاية عدا شارعي الجمعية والكرامة وكلاهما لا يفي بالغرض أصلاً لاعتبارات سكنية ولا أعرف على وجه التحديد أن كان الغرض من إغلاق المداخل والمخارج لهذا الشارع هو الحفاظ على المدينة من وجهة نظر المصمم .

ومن الجدير بالذكر أن البلدية قد استملكت دوراً في حي الحسين لإنشاء طريق يربط هذا الشارع بالمدينة ولكنها توقفت عن التنفيذ قبل أكثر من عشرين عاماً .. !

أما إذا أمعنا النظر في العمارات التي اصطفت على جانبي الشارع وأغلبها من الدور السكنية الموزعة من البلدية إلى الأهالي فأنها تثير الغرابة والدهشة فهي مصممة (الطاب– طالع) !! إضافة إلى التفاصيل المعمارية كثيراً ما تثير الشجن في هذا النمط من العمران وتشجير هذا الشارع قد لا يدخل ضمن الخطط المقترحة لتجميل المدينة لكونه طريقاً خارجياً !

شارع (٣٠)

قبل أكثر من خمس وعشرين عاماً مضت صمم شارع (٣٠) في الحلة ، وهو يربط الاستدارة التي تقع في وسط شارع الأربعين من جهة القاضية وحي الحسين باتجاه شارع (٦٠) وعرضه ثلاثون متراً ، ليربط الأخير بوسط الحلة ، حيث يتجه باتجاه القاضية ، وفكرته صائبة جداً حيث يقلل من الزخم الهائل على شارع الأربعين والستين ، وكذلك وسط المدينة ، وقامت مديرية بلدية الحلة في وقتها باستملاك (١٢) داراً وأفرغتها من ساكنيها وأعطتهم التعويض ، وقسم منهم بنى داراً مجاورة في نفس المنطقة يجاور بيته القديم ، ومن ثم قامت البلدية بتأجير هذه الدور لموظفيها وبقي الموضوع طي الكتمان أو النسيان ولغاية يومنا هذا .

رغم أن هذه المؤسسة البلدية التي تمتاز بالضعف الإداري وعدم الرغبة في متابعة حتى قراراتها مما أورثت المدينة خراباً عمرانياً طال أمده ، وليس سبب ذلك العاملين فيها بل النظام البلدي بصورة عامة . ومن دخل مدينة الحلة في الثلاثينات أو حتى في خمسينات القرن الماضي يتفاجأ حين يدخلها في هذا الوقت ....! بل يتأسف !

واليوم أنا أتساءل ألم يحن الوقت لتنفيذ هذا الشارع وغيره في مدينة تتزايد الهجرة إليها وتتكاثر نفوسها خاصةً وقد أصبح شارع (٦٠) يقسم المدينة إلى قسمين تقريباً متساويين ولكن بقي المركز له نفس الأهمية القديمة والرئيسة ، وبقية أطراف المدينة الأخرى مهمشة والطريف في كل هذا لازالت الشوارع تحمل أرقاماً تدل على عرضها رغم أن في هذه المدينة قامات شامخة كثيرة وشهداء تزين صدور المدينة ، فيا حبذا لو سميت هذه الشوارع بأسماء أهلها الأماجد والكبار في ارثهم الحضاري .

ومدينة الحلة اليوم بأمس الحاجة إلى شق طرق جديدة تسهل الحركة من شمالها إلى جنوبها ومن غربها إلى شرقها وبشكل منظم خاصةً ونحن في قرنٍ جديد أصبحت فيه السيارات تنافس البشر في العدد ناهيك عن التلوث والهدر في الوقت نتيجة الازدحام ، حتى يتخيل لي أن الأبنية القديمة بدأت تضجر من القدم والضوضاء وبدأت تتمايل للسقوط في مدينة كثيراً ما اتسمت بالهدوء والجمال .

شارع الإمام علي (ع)

يربط شارع الإمام علي (ع) في مدينة الحلة بين باب المشهد وجسر سعد المعروف بجسر الهنود ، وهذا الشارع أصلاً يقسم منطقة الجامعين إلى قسمين ، حيث كانت الجامعين مركز مدينة الحلة وهي (أجمة من قصب تأوي إليها السباع) .

مرت مدينة الحلة بحقب زمنية متنوعة كثيراً ما أثرت ودمرت كل المعالم التاريخية العمرانية في هذه المدينة ، وتوالى حكام وإداريون على هذه المدينة كثيراً ما امتازوا بالضعف إلا ما ندر منهم ومن هنا لم تتميز المدينة بالعمران .

عام ١٩٧٢ استملكت بلدية الحلة الشارع المجاور على الجانبين وقامت ببيعها إلى قطع تجارية إلى مستثمرين لغرض عمرانها غير أن المستثمرين تميزوا بالنظرة الأحادية إلى الجانب المادي ورغبة في الحصول على أكبر مردود مادي وفق ضوابط وضعتها البلدية وبعضهم الآخر تركها خربة وعرضة للأنقاض والأوساخ لغاية يومنا هذا دون حتى التفكير باستغلالها رغم مرور أكثر من ثلاثين عاماً . فضلاً عن أن بلدية الحلة لم تلزم أصحاب هذه القطع ببنائها وفق مفهوم تاريخي وتراثي يليق بهذا الشارع وأسمه فتكونت أبنية عبارة عن مجموعة من التراكيب الكونكريتية المتخلفة التي لا تنسجم مع التراث أو التاريخ أو الدين ولا حتى يجمعها عامل مشترك غير عامل المحلات المطلة على الشارع للأغراض التجارية بهدف الحصول على أعلى المردودات المادية لأصحابها .

مثل هذه التجارب قوضت الهوية المعمارية وأفسدت التراث ومن الضروري الوقوف عليها إذا ما فكرنا في إعادة بناء المدينة العراقية العصرية والهم في هذا المجال لا حدودله. حين قامت بلدية الحلة بتبليط هذا الشارع اضطرت إلى الحفر والحدل للوصول إلى الكثافة العظمى التي تسمح بها مواصفات الطرق ، فوجدوا فيه الكثير من الجثث مخزونة في فخاريات وكأنها أنقاض لمعركة انتقامية مهمة أو كأن تكون مقبرة قديمة لم تثر البلدية في وقتها أية أهمية لهذا الحدث الإثاري والتراثي الكبير ، واكتفت بالردم دون أية متابعة ولو تاريخية كما يحدث في كثير من المواقع التراثية أثناء التبليط أو فتح طرق جديدة.(٣٣)

وخلف هذه الأبنية نجد المأساة قائمة في أبنية خربة والعجيب لازالت الناس تسكنها لضعف الحالة المادية وخلفها أيضاً توجد الديوخانة التي كانت ملتقى كثير من الناس المهمين الذين مروا بهذه المدينة إضافةً إلى هذه المدينة أصلاً كانت يوماً ما مقراً للحوزة الدينية ومقراً لعلماء دين وخرجت كثيراً من القامات الشامخة في هذا البلد الكريم .

الهوامش والمصادر والتعليقات

١- الحسيني – علي الحلي – شاكر حيدر] في رحاب الحلة ١٩٦٩

٢- نفس المصدر

٣- وهو أيضاً مكان ولادة النبي إبراهيم (ع) وهو الذي وجد فيه بعد خمود نار نمرود قائماً يعبد الله في روضه

٤- الحسيني- نصير علي- مقالات في العمارة – المدينة الشرقية وآفاق المستقبل – دار الغسق- ٢٠٠٠ .

٥- إحسان- شيرين- لمحات عن تاريخ العمارة – ١٩٨٦.

٦-٧- حديث مع المهندس شوقي جابر- مدير بلدية الحلة الأسبق- ٢٠٠٠ .

٨- حديث مع المهندس حليم كاظم عبد الواحد – مقاول في مدينة الحلة – ٢٠٠٠ .

٩- حديث مع المهندس مصطفى خليل البياتي – مدير المختبرات الإنشائية سابقاً والآن تقاعد- بابل- ٢٠٠٠ .

١٠- حديث مع المهندس صباح جابك- مهندس في الإدارة المحلية سابقاً .

١١- أحسان شيرزاد- شيرين- لمحات من تاريخ العمارة والمحركات المعمارية وروادها – ١٩٨٦ .

١٢- الحلي – يوسف كركوش – تاريخ الحلة ١٩٦٥- مطبعة النجف .

١٣- الحسني- عبد الرزاق – العراق قديماً وحديثاً .

١٤- الحسني- مصدر سابق .

١٥- الحلي – يوسف كركوش – مصدر سابق .

١٦- الحديثي- عطا

١٧- عبد الخالق – هناء] منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٤ – القباب المخروطية في العراق .

١٨- د. عيسى سلمان – العمارة العربية الإسلامية – دار الرشيد – ١٩٨٢- وزارة الثقافة والإعلام .

١٩- المشاهدات ذات القباب المخروطية في العراق – ١٩٨٢- المؤسسة العامة للآثار.

٢٠- حديث مع المهندس شوقي جابر علي – مدير بلدية الحلة الأسبق .

٢١- تشير بعض المصادر إلى أن مشهد الشمس هذا اشتهر بقبته الذهبية التي لم يبقى

من ذهبها شيء وقد ذكر ذلك في فقهاء الحلة لمؤلفه السيد هادي كمال الدين .
٢٢- شريف يوسف – تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور – ١٩٨٢- وزارة الثقافة والإعلام – دار الرشيد .
٢٣- الحلي – يوسف كركوش – تاريخ الحلة – مصدر سابق .
٢٤- ايل – تعني القبيلة – وخان تعني سيد أو رئيس – أي الأيلخانية سيد أو رئيس القبيلة – د. حسين مؤسس المساجد – ١٩٨١ – عالم المعرفة . دخلوا بغداد عام ١٢٥٨م وبذلك انتهى الحكم العباسي بقيادة المتوكل وبدأت الفترة المظلمة على يد هولاكو في العراق .
٢٥- شريف يوسف – مصدر سابق .
٢٦- نيكولاس لوستغيت – حضارة العراق واثاره – ترجمة سمير الجلبي – دار المأمون – ١٩٩١- وزارة الثقافة والإعلام .
٢٧- شريف يوسف – مصدر سابق .
٢٨- فريال مصطفى ورضية عبد الأمير – التراث المعماري لمدينة الحلة – مجلة سومر المجلد ٤٥- ١٩٨٧- ١٩٨٨- وزارة الثقافة والإعلام .
٢٩- للكاتب دار في هذه المناطق القديمة .
٣٠- العكيري – د. وليد خالد – آفاق عربية العدد ٩-١٠-٢٠٠١ أوراق مطوية من بعض شؤون الري .
* جينري –عسكري بريطاني صاحب نظرية جعل المواصلات البريطانية يتصل مع الهند عن طريق نهر الفرات بدل البحر الأحمر وهو بحار انكليزي .
* بلوص لينج – عسكري بريطاني برتبة كوماندر عمل على مسح أنهار العراق ومنه عائلة بيت لينج .
* ولسن ولونكريك – مؤلف كتاب بلاد ما بين النهرين بين ولايتين ضابط بريطاني – صاحب نظرية تجنيد العراق.
٣١- السلطاني ، د. خالد آفاق عربية ١٤٦ ، ١٩٨٠,
٣٢، ٣٣- لقاء مع المهندس ساطع الرهيمي مدير بلدية الحلة الأسبق ٢٠٠٦ .

العمارة في العهد الوطني

توج الأمير فيصل بن الحسين ملكاً على العراق في ٢٣ آب سنة ١٩٢١ وبدأت مرحلة جديدة في هذا البلد المبتلى بالغنى والموارد الاقتصادية والموارد البشرية والموقع الاستراتيجي ، وهو الذي على مر التاريخ تتكالب عليه القوى العالمية التي تسيطر عليه إضافة الى الجيران ، وهذه الظروف السياسية المعقدة حبلى دائما بالأزمات السياسية وعدم الاستقرار وتؤثر بصورة مباشرة على تطور البلد وعمرانه . وفي الحقيقة بقي العراق تحت الاحتلال الانكليزي وكان يرافق أي وزير أو متصرف أو مسؤول في الدولة انكليزي يدعى مشاوراً واستمر ذلك حتى دخول العراق في عصبة الأمم .

ولابد من الإشارة الى أن الانكليز اعتبروا احتلال العراق امتدادا لسيطرتهم على الهند وكانت الاستعارات السياسية والعمرانية ممتدة من نفس طريقة حكمهم للهند فضلا عن الخلفية العسكرية الانكليزية المستمدة من مظاهر الإمبراطورية الانكليزية الواسعة في السيطرة على أجزاء واسعة من العالم واعتبار الثقافة الانكليزية العامة في الإرشاد والتوجيه هي الأساس في البناء العام حسب متطلبات الحكم العسكري البريطاني ومتطلبات تثبيت الحكم " الوطني " الذي أنشأوه كي يحكموا السيطرة التامة على هذا البلد وفق مخططات تخدم الإمبراطورية.

كانت الجهات المسؤولة عن البناء في المملكة العراقية هي دائرة الأشغال العامة التابعة لوزارة المنفعة وبعدها سميت وزارة الاقتصاد والموصلات والأشغال وكذلك دائرة الأوقاف والدائرة الهندسية بوزارة المعارف ثم استحدث منصب جديد لأول مرة في تاريخ العراق هو معمار

الحكومة (coverment architect) وتتلخص مسؤولياته في تصميم الأبنية متعددة الوظائف التي تحتاجها المملكة وتسلم الوظيفة مهندسون انكليز عرف منهم :

. ا.ج .س. ميسون

. جا . ي . كوبر

. جاكسون ومساعده باكستر حتى نهاية عام ١٩٣٦.

وفي نهايته عام ١٩٣٦ تسلمها احمد المختار وهو أول عراقي تسلم مسؤولية معمار الحكومة وتتابع بعده العراقيون في هذه الوظيفة بغية التعرف على الأسلوب المعماري السائد آنذاك لدى هؤلاء المعماريين لابد من القول أن أسلوبهم تأثر بشكل واضح بتجربته العمارة الانكليزية الممثلة بالفترة الكلاسيكية السائدة في العمارة الأوربية آنذاك حيث كانت أساس دراستهم في المدارس المعمارية الانكليزية فضلا عن تأثرهم بتجربة الجيش الانكليزي في السيطرة على المستعمرات كونهم ضباطاً في الجيش بصفته مهندس إضافة الى أن بعضهم خدم في الهند وحاولوا نقل نفس التجربة الى العراق بما في ذلك النظام الإداري .

وفي الحلة تسلم المتصرفية علي جودة الأيوبي وهو أول متصرف لمدينة الحلة وعين معه مشاوراً انكليزياً بعدها توالى على الحلة عدة متصرفين منهم من اهتم بالعمران ومنهم من لم يهتم سوى بالقضايا السياسية ولكن في اغلب الأحيان توالى على الحلة متصرفون ضعفاء همهم الأول أرضاء سادتهم والقليل من اهتم بالمدينة وعمرانها .

وحدث تطور من الوجهة العمرانية في هذه المرحلة حيث شقت

طرق عديدة وبنيت أبنية عامة وحدائق ومستشفيات وتوسيع أسواق وإنشاءات متعددة فضلا عن توسع في الحالة الاقتصادية عند الأهالي مما زاد من حركة البناء والعمارة في هذه المدينة .

ومن الأمثلة على ذلك أنشاء شارع المحكمة وإنشاء الشارع الرابط بين الجسر الشمالي وباب النجف وفتح شارع صفي الدين وشارع المسلخ الذي يرتبط بالنبي أيوب وإنشاء حدائق عامة منها حديقة الجبل بعدما كانت موقعاً للنفايات وإنشاء المكتبة العامة وفتح مدرسة الفيحاء وإقامة الجسر الثابت بعدما كان جسر قوارب وتوسيع الأسواق وإنشاء سوق للجزارين وبناء الأحواض والمسلات ووضع تمثال الأسد البابلي وإنشاء المستشفى الملكي ومستشفى الرمد وصحة الطلاب ، وتم إستملاك أراضي وبناء مدارس عديدة منها صفي الدين وثانوية الحلة وبناية للإدارة المحلية وبناية الأمومة وبدأت بالظهور أحياء جديدة هي الجديدة وحي الثانوية وحي الويسية الذي قامت البلدية باستملاكه وبناء دور للموظفين وحي بابل وانشىء مشروع الماء والكهرباء في الحلة .

وبدأ واضحاً التطور العام على الأهالي بإنشاء الدور الحديثة المقلدة للأوربيين نتيجة قدوم قسم من الدارسين في بريطانيا وغيرها من الدول الى العراق لا بل انعكس ذلك على تصاميم كثير من الأبنية العامة نتيجة عمل المهندسين في المرافق العامة واتضح جلياً هذا التأثير في كثير من الأبنية العامة في العراق مثل الدفتردار والدامرجي وسوفيز والمصرف العثماني وغيرها وفي الحلة انشيء مستشفى مرجان للأمراض الصدرية حيث قام بأنشائه عبد الرزاق مرجان وقام بافتتاحه الملك فيصل

حيث قدم الى الحلة وأقيم احتفال بذلك .

وتوالت الأعمال العمرانية في الحلة ببناء المدارس وشق الطرق وبناء الأحياء الأخرى واتضح لاحقا في تطور المدينة الذي بدأ بظهور منطقة الجديدة وتبعها ظهور أحياء أخرى وصولا الى تجربة حي بابل .

واستمر بناء المدارس وبرزت أبنية أخرى كثيرة مرادفة لظهور المواد الإنشائية وشيوع مبدأ التسقيف بالشيلمان وظهور الكونكريت المسلح واستخدام مادة الأسمنت وظهرت أبنية منها قاعات كبيرة اعتمدت مبدأ التسقيف بالجملون كما هو واضح في دائرة الكهرباء في باب الحسين ودور السينما وكذلك في أمكنة متعددة من العراق رغم أن الوثائق والتصاميم التي عثر شحيحة جداً للبحث .

عن تلك الفترة لان اغلبها دمر واتلف بسبب دوران دفة الحكم أو الاضطرابات السياسية وبسبب دمج دوائر عديدة أخرى فضلا عن عدم الاهتمام بالتوثيق أصلا .

والجدير بالملاحظة أن الوضع تقدم أكثر بظهور النفط ودخول شركة نفط العراق ومشاركوه كدائرة مستقلة إضافة الى مصلحة السكة الحديد المتمتعتان باستقلالية ذاتية بإنشاء الأبنية ومحطات القطارات ودور السكنية التابعة لموظفيهم .

وساعد في ذلك ظهور مواد إنشائية جديدة في العالم بظهور عصر الحداثة الذي انعكس على العراق أيضا مما أتاح ظهور أساليب وأنماط جديدة في الأفكار المعمارية انعكس ايجابيا على التصاميم مما زاد من مساحة الإبدأع وما يلاحظ أيضا تطور الثقافة في مدينة الحلة حيث

بصدور صحف عديدة مثل صحيفة الفيحاء والفضيلة وحي بابل حمورابي والحكمة والغد والحلة والعدل واللواء وصوت الفرات ومجلة الرشاد وغيرها .

ولكن التأثيرات السياسية الدولية لها مفعولها في أعاقة تطور العراق وبالأخص العمراني حتى أن كل امبروطورية عسكرية جديدة تنشا لابد لها أن تسيطر على العراق لان السيطرة على العراق تعني السيطرة على العالم وله الحق جلجامش في تسمية نفسه ملك الجهات الأربع واتضح ذلك بصورة واضحة بقيام الحرب العالمية الثانية . وحين تنظر الى عمارة هذه المرحلة نجدها بجزيئيها الأول العام والثاني الشعبي أو عمارة القطاع الخاص .

تميزت الأنظمة العامة في هذه الفترة بالحديقة الأمامية والممر المتصل المركزي الذي يمتد من السلم الذي يحتل المقطع الرئيسي في مدخل البناية وتميز بسعته وكثرة الشبابيك وسعتها واستخدام مقاطع الخشب والحديد وظهرت الأبواب الحديدية الخارجية بدل الخشبية فضلا عن مساحات الغرف كبيرة نسبيا قياسا بالسابق حسب ما تتسع له مقاطع الشيلمان وظهور مقاطع بشيلمانتين متجاورتين على شكل جسر وظهور التسطيح للسقوف والكاشي الأسمنتي الملون وبدأ جليا استخدام الأسمنت في اغلب المناطق من الأبنية فضلا عن الجص والبورك وكذلك ظهور الطليع من الكونكريت المسلح الذي زين الواجهات الأمامية .

أما عمارة الأهالي أو العمارة الشعبية تكاد تنقسم الى قسمين الأول المناطق الجديدة المنشأ وهي الجديدة والويسية نجدها متأثرة بطبيعة

الحال بمرحلة ما قبل ظهورها وهي البيت الشرقي ذو الفناء الداخلي ومغلق الواجهة وفي كثير من الأحيان وجود شباك أو عدة شبابيك تطل على الزقاق وبدل الأبواب من الخشب الى أبواب حديد فردة واحدة ولاحقا فردتين تتراوح بين متر والمتر ونصف وبدأ واضحا استخدام العقادة في التسقيف وكذلك زيادة مساحات غرف النوم وتغير في ارتفاعات السقوف وظهور غرفة استقبال وسلالم من الطابوق ذو درجات عالية واتسمت الأبنية باستخدام الكهرباء والماء الصافي وظهور السيارات الى الشوارع بدأ القسم الثاني بالظهور أكثر رصانة في البناء بين مدخل حديدي وحديقة صغيرة ودرجات عالية وبالكونات ومن الجانب للأغنياء كراج للسيارات وبناء بالچفقيم وتمثل في بيت مرجان والدور المجاورة له فضلا عن غرف كبيرة وفي بعضها صالات ومطبخ في الجهة الخلفية والبناء بطابقين ومساحات للدور لا تتجاوز ٢٠٠م في أحسن الأحوال عدا دور الأغنياء وبدأت بالظهور أحياء أخرى مثل حي بابل وبمساحات أوسع تتجاوز ٤٠٠م وظهرت دور جديدة فيها حدائق أمام الدور وفي الخلف حديقة كبيرة وتضم مطبخا خلفيا واستقبالاً وهولاً وغرف نوم وبالكونات فيها أعمدة حديدية ومزينة بالمحجرات الحديدية للبالكونات وكراج للسيارة منها بطابق واحد أو بطبقين ، وكانت مادة الطابوق المفخور هي الأساس ، وشيوع استخدام مادة الأسمنت والكاشي الأسمنتي والأبواب الخارجية جميعها من الحديد والشبابيك من الخشب والحديد والأبواب الداخلية من الخشب وفي أحسن الأحوال الغرف لا تتسع أكثر من أربعة أمتار بطول يتراوح أكثر بقليل .

مـع بدايـة الحـرب العالميـة الثانيـة وثـورة رشـيد عـالي الكيلانـي واضطرابات سياسية نتيجة التحالفات في الحرب حدث تباطؤ في حركة البناء استمر حتى نهاية الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٥ وبدأت أوربا الاهتمام البالغ في البناء والصناعة والتطور الاجتماعي كان الوضع السياسي يزداد تعقيدا في هذا البلد وظهور حركات سياسية متعددة وبدء رحلة الصراع العربي الإسرائيلي عام ١٩٤٨ والتي انتهت بظهور إسرائيل قوة في المنطقة مدعومة من الغرب بالكامل وبدء مرحلة الخمسينات وفيها من التأثيرات الكثيرة على الحركة العمرانية العالمية وشيوع مبدأ الحداثة وتطور سريع في التكنولوجيا رافقه دخول السيارات بشكل اكبر وظهور الماكنة ودخول التلفزيون ومع ازدياد عائدات النفط زاد من الوضع السياسي تعقيدا حيث أسهمت المرحلة بنمو التيار القومي وزيادة في الشعور الوطني وتأسيسا على ذلك بدأ عصر جديد هو مرحلة الخمسينات في العراق حيث قدوم كثير من الدارسين لفن العمارة الأجنبية من العراقيين الى بلدهم ومحاولة رسم ملامح جديدة ويقترح الأستاذ الدكتور خالد السلطاني بتسميته عصر الرواد حيث برز أسلوب معماري جديد لأول مرة في العراق اعتمد أساليب جديدة في البناء واهم من كل ذلك ظهور الكونكريت المسلح بهيئة جديدة وأساسية وبدأت العمارات تنمو مثل البراعم وبدأت مهنة مهندس معماري تظهر الى العيان وبدأ واضحا استخدام الشبابيك الحديدية والسقوف الكونكريتية وظهور الجدران الكونكريتية في بعض الأبنية وظهور مهن جديدة في البناء وحرفيين جدد وازدياد المهارة وتشغيل الأيدي العاملة وما تميزت به العمارة في فترة ما

قبل الحرب العالمية الثانية بالتكوينات البسيطة والتقليدية أولا بسبب تأثرها بالعمارة الكلاسيكية التي كانت سائدة في أوربا وثانيا لان متطلبات العمارة في العراق أيضا بسيطة التكوين لان الدولة فتية وحديثة التكوين فضلا عن الإمكانات الاقتصادية المبنية أصلا على استفادة الآخر كونه محتلا ومن هنا كانت التكوينات الأساسية متواضعة معماريا وتأسيسا على ذلك مرحلة العهد الوطني تشكل امتدادا لسابقتها وما ساعد على ذلك ضعف الحالة العامة في العراق والتي لا تسمح باستيراد الأيدي العاملة الماهرة والحرفية من الخارج بسبب سعة البطالة مما أدى الى الاعتماد على الأساليب الشائعة في العمارة التقليدية والكلاسيكية وهي البناء بالطابوق بجدران سميكة واستخدام مادة الشيلمان كفقرة أساسية في حين عمارة الخمسينات كانت تشكل تطورا في الأساليب الفنية والمعمارية مع ازدياد وتراكم الخبرات الفنية نلاحظ ظهور أبنية فيها الحداثة والأساليب المبتكرة في توظيف الأبنية شكلا مضمونا وظهرت أبنية فيها عدة طوابق .

وبظهور مادة اللبخ أدى الى تغير في الأشكال المعتادة سابقا المكونة من الطابوق وظهور طرق جديدة في إكساء الواجهات ومع دخول مصارف أجنبية متعددة الى بغداد وبعض المحافظات أدى الى استثمار أبنية جديدة وعديدة حيث برزت أبنية أكثر رزانة وتكاملا في الهيئة الهندسية وظهور أنظمة التدفئة والتبريد وحتى مصاعد كهربائية مثل عمارة سونير والدراجي والدفتر دار (١٤، طابقا) ومصرف الرافدين.

إما المدن العراقية فقد عانت من الإهمال الكبير والتهميش بسبب الاهتمام بالعاصمة المركز وهذه الطريقة بقيت سائدة ولغاية يومنا هذا وما زاد الطين بلة توالي إدارات ضعيفة توافق المركز على كل شيء في سبيل استمرارها في تولي الإدارة ، وكما قيل الإمارة ولو على حجارة ومن نماذج الأبنية التي تشير الى المرحلة بصورة واضحة بناية مديرية بلدية الحلة التي صممها المهندس المعماري محمد مكيه وكانت على شكل سفينة راسية على شط الحلة وكان محمد مكيه احد الشباب القادمين من الخارج مع مجموعة من المعماريين سبقوه .

نرى جليا وجود استقلالية في التكوين والبناية تتمتع بأربع واجهات ومطلة على شط الحلة بل أن المنظر في الأعلى خلاب وكأنك تبحر في شط الحلة وتتمتع بغرف كثيرة وفضاءات ومدخل مركزي وبدأ استخدام مادة اللبخ واستخدام الحديد في أعمدة ومحجرات وواضح تأثر المهندس محمد مكيه بأسلوب ليكربوزيه العشريني وتميز المبنى باستخدام الكونكريت المسلح .والطريف ان الساحة التي يقع فيها مبنى البلدية تضم كافة الاجيال والتي تضم دائرة الضريبة والمحافظة القديمة والأبنية التي تشيد لغاية يومنا هذا نجد الفرو قات جزئية لا تتناسب مع التطور العمراني العالمي لا بل الكارثة التي مر بها العراق في ظل عهود مظلمة . وظهرت أحياء أخرى مثل الماشطة ونجد التجربة الجديدة في بناء أكثر نضوجاً وأكثر استخداماً للمواد وظهور الحدائق الأمامية الصغيرة وظهور غرف جديدة هي الاستقبال والطعام والهول والمطبخ والحمام والتواليت والشوارع الخارجية ضيقة غير مصممة لاستخدام السيارات وتميزت هذه

الدور بالبناء بطابقين متكاملين وظهور واضح للشرفات المزينة بالأعمدة الحديدية وتعلوها طلعات كونكريتية وفي بعض منها أعمدة كونكريتية واغلب التسقيف من الشيلمان وشبابيك أكثر اتساعا من السابق وظهور الطلاء وبروز الألوان الزاهية فوق مادة الاكساء في حين سابقا كان لون الطابوق هو الطاغي على الواجهات .

وتميزت الاسيجة الخارجية بوجود الأبواب الحديد بفردتين وثلاثة تعلوها الطليع الكونكريتي ومزينة بالإضاءة الكهربائية ومدخل داخل الدور وكانت الابواب الحديدية مزينة بزخارف برزت ازدياد الحرفة عند الحدادين وتفنن اللباخين في مادة الجص ونرى الفرق واضحاً بين الجديدة والويسيه والماشطة ومن ثم حي بابل ما أود الإشارة إليه في تجربة الخمسينيات الاهتمام الواضح بمهنة مهندس معماري ومن خلال دراستنا لتفاصيل كثيرة في عمارة العراق نجد إنها تأثرت بالآخر لكن هذا التأثير كان مقيدا ومسيرا بظروف كثيرة ودول متعددة أي أن المصالح السياسية لعبت دورا بارزا في تخلف العراق عن الركب العالمي فضلا عن كون المستعمر البريطاني لم يهتم سوى بمصالحه وكان غير معني بمصلحة العراق غير أن الرياح تسير بما لا تشتهي السفن .

بيوت الأغنياء في مدينة الحلة أثناء فترة الحكم الوطني في العراق

كانت البيوتات الكبيرة في مركز مدينة الحلة تمثل الطبقة الطبقة الغنية أو الإقطاعيين أصحاب الأملاك الزراعية والتجار الذين يتاجرون بالمحاصيل وما تيسر من بضائع من الهند كما في أي وقت تعبر عن مدى رفاهية الشخص وتمكنه مادياً .

ومن هذه البيوتات في مدينة الحلة بيت يقع في منطقة الأكراد مساحته ٤٠٠م مقابل حديقة النساء التي تقع على شط الحلة للدار سياج وفي وسطه محجر حديد يمثل ظهور المودرن في تلك الفترة الزمنية ويحتوي السياج على بابين جانبين مصنوعتين من قامات من الحديد تمثل هذه الفترة الزمنية وتطور مهنة الحدادة حيث عرفت هذه الفترة بالاستقرار النسبي في الحياة الاقتصادية مما أتاح للناس استثمار أموالهم وعادة يحصل تطور في مهنة البناء ومهن أخرى مرادفة تكمل بعضها البعض .

تؤدي الباب على الجهة اليسرى الى باب السرداب وهي باب ثانوية ويقع السرداب تحت الدار كلها ويؤشر استقلالية عن الدار الداخلية في حين تفضي الباب الرئيسية الى مدخل الدار الذي يبدأ بسلم يقودك الى طارمة أمامية تقع فيه الباب الرئيسية التي تتوسط الواجهة الأمامية ، تتكون الباب من خشب الصاج على شكل قطعتين يعلوها شباك عبارة عن مزيج من الخشب والحديد والزجاج ، يؤشر على صناعتها تطور مهنة النجارة ومهارة في صنع قطعها المكون من قطع كاملة من الصاج يفضي مدخل الدار الى فناء الدار المكون من فضائين رئيسين على ما

يبدو يمثل الفضاء الأول عند مدخل الدار جناحاً خاصاً للضيوف والجزء اللاحق الكبير ذو الفضاء الداخلي المكشوف على شاكلة البيوت الشرقية القديمة مخصص للعائلة .

ينكون الفضاء الأول من غرفة الضيوف على جهة اليمين وعلى اليسار غرفة المكتب الخاص بصاحب الدار يجاورها مرافق صحية وحمام ومغسلة وسلم يقودك الى السطح الخاص أيضا بالضيوف ، في حين الشبابيك تطل للخارج على مدخل الدار الذي هو عبارة عن حديقة أمامية .الأبواب من خشب الجام ارتفاع ٢،٥م تحتوي على شباك علوي من الزجاج وكتائب حديدية ممزوجة مع الإطار الخشبي والأرضيات من الكاشي الاسمنتي الملون السائد في ذلك الوقت والجدران مكسية بالجص والجص الفني وارتفاع السقوف ٣،٥م والجدران مبنية بسمك ٤٨سم للخارج و٣٦سم للجدران الداخلية والقواطع ٢٤سم مرتكز على سقف السرداب الذي بدوره مرتفع بأعمدة ورباط كونكريتي وسقف بالشيلمان والطابوق بطريقة العقادة . عندما تجتاز هذا الجناح عبر باب ذو جناحين الى القسم العائلي المكون من أربع غرف نوم مطلة بشبابيكها وأبوابها على الفناء الداخلي المكشوف من الأعلى ويحتوي أيضا على مطبخ وساحة وحمام وتواليت كلها كسيت بالاسمنت (اللبخ) وباب خلفية تقودك إلى الحديقة الخلفية .

يقودك السلم الى السطح ومخزن للافرشة الصيفية التي تستخدم لقضاء الليل في فصل الصيف اللاهب أي يحتوي الدار على سطحين منفصلين بينهما فتحة صغيرة .

زينت أرضية الغرف بالكاشي الأسمنتي الملون وكسيت الجدران أيضا بالجص والجص الفني وارتفاع السقوف أيضا ٣،٥م فضلا عن أن الأبواب أيضا من خشب الجام مع فتحة علوية وشباك علوي والشبابيك من الخشب المطعم بقضبان حديدية مدورة مسلطة على الفضاء الداخلي المكشوف بنيت بالطابوق (الجف قيم) مماثلة لواجهات الدار واحتوت السقوف بعض النقوش في بناء الطابوق خاصة عند المدخل مما يدل على تقدم في حرفة البناء آنذاك ومما تجدر الإشارة إليه أن في بعض هذه الدور استقدمت العمالة السورية .

يمتد سقف الغرف حوالي المتر ليشكل سقفا فوق مداخل الغرف والشبابيك ، أشبه بالطارمة لتحميها من الأمطار وضوء الشمس الحارقة صيفا .

إما أرضية الفناء فكسيت بالفرشي السميك مساحة ٣٠/٣٠ سم ليضمن على ما يبدو تحمل الأمطار أو المياه الساقطة عليه وهذا سائد لغاية يومنا هذا في العراق عند أكساء السطوح ولكن بمساحات اقل وتملأ الحافات بالأسمنت (الدرازة) وتبنى بالطين وتشربت بالجص العادي لضمان عدم تحركها مستقبلا .

أما السرداب فكان على مساحة كل البناء وكأنه دار ثانية وله باب خارجي مطلة على الحديقة وأمامها باب خارجي آخر يقودك الى الشارع عبر الحديقة وعلى ما يبدو يستخدم أيضا كمخزن للمحاصيل الزراعية ويحتوي على أكثر من فضاء وأبواب ويوجد فيه (بدكير) الذي يقوم بعملية نقل تيار الهواء من الأسفل الى الأعلى وبالعكس وللسرداب

شبابيك مطلة على الحديقة الأمامية أيضا على طول الجهة الأمامية ولكنها قصيرة لا تتجاوز بارتفاعها ١م من الخشب المطعم بقضبان حديدية ، إما الأرضية فكانت من ألفرشي أيضا ويكون هذا المكان بارداً صيفاً وخاصة النهار لهذا يستخدم لقضاء أوقات الظهيرة للهروب من درجات الحرارة العالية في الصيف . زينت الواجهات والسياج بالطابوق الفني وبمهارة عالية في الإنشاء والتضاريس وتطلق عليه (الجف قيم) وهو ما يدل على تطور في حرفة البناء باستخدام ديكورات متعددة وأقواس وخرائط معينة ترمز الى الحالة الاقتصادية للمالك في ذلك الوقت.

حين مدخل تشعر بالرفاهية والسعادة والبهجة . وفي نفس هذه المنطقة التي تعتبر سابقا قريبة على المركز الذي كان سابقا ساحة سعيد الأمين (جسر الهنود ألان) اعتبرت هذه من المناطق الراقية وقربها نفذت عدة دور تكاد تكون متشابهة في المظهر العام وطريقة البناء ومنها بيت مرجان الذي لا يزال يحتفظ برونقه وشكله المهيب وهو يطل كغيره من هذه البيوت على شط الحلة ولا تنام هذه الدور الى على موسيقى جريان النهر الذي طالما حمل أشياء كثيرة من قصص القحط والغرق والسعلاة والسعادة . وتجدر الإشارة إلى أن هذه المنطقة كانت جزءا من نهر الحلة الذي كان أصلاً نهر الفرات وعندما تعرض النهر الى الجفاف أصبحت هذه الضفة الممتدة من الجسر الجديد بمحاذاة منطقة الأكراد الى بدأية شارع الري أرضا تم تقسيمها من قبل الأعيان وأعضاء المجلس البلدي وتم أنشاء هذه المنطقة المقابلة للأكراد وكلمة الأكراد جاءت من

كلمة الكرود (جرد) وتعني الناعور الذي يسقى الأراضي الزراعية من النهر وكانت تركب في منطقة الكرود (منطقة النواعير) وبعدها تم أنشاء سدة الهندية وعادت الحياة الى شط الحلة .

العمارة بعد ثورة ١٩٥٨ ولغاية ١٩٦٨ في مدينة الحلة

في ١٤ تموز ١٩٥٨ قام مجموعة من الضباط بانقلاب على الملك فيصل الثاني وتحويل الحكم من ملكي الى جمهوري بقيادة الزعيم عبد الكريم قاسم وجرت تصفية العائلة المالكة في قصر الزهور في العاصمة بغداد في حادثة مريعة .وبدأت مرحلة جديدة في العراق حيث تحول الحكم من الملكية ذات النظام المركزي التام الى النظام الجمهوري العسكري الشامل بقيادة الزعيم ، ومما يؤشر في هذه المرحلة التي امتدت حوالي عشرة أعوام من ١٩٥٨م لغاية ١٩٦٨م انقسامها الى قسمين الأولى تبدأ من عام ١٩٥٨م ١٩٦٣م حيث حكم عبد الكريم قاسم والثانية تبدأ ١٩٦٣م . ١٩٦٨م وهذه الأخيرة أيضا انقسمت الى قسمين الأولى بقيادة عبد السلام عارف والثانية بقيادة أخيه عبد الرحمن عارف .

رغم أن الحديث عن هذه التعقيدات السياسية من الصعوبة البالغة في تفسير كل هذا التغير في فترات حكم قصيرة ولمصلحة من جرى هذا التغير ، اعتقد جازما أن هذا لا يتضح إلا بعد مرور حقبة زمنية كبيرة تكشف فيها الأوراق من سجل المخابرات البريطانية والأمريكية التي كانت تفتح للباحثين بعد عقود من الزمن واجل فتحها ستين عاما وقد لا تكشف أصلا بسبب استمرار المصالح فيها ، ولا زالت الحاجة قائمة في هذه

المنطقة الإستراتيجية من العالم خاصة وان الطلب العالمي في تزايد على الطاقة واستمرار ارتفاع أسعار النفط يجعل الوضع ملتهباً ومعقداً ، وخاصة بعد سقوط الاتحاد السوفيتي ومحاولة الولايات المتحدة الأمريكية السيطرة على مصادر الطاقة في العالم .

كان الزعيم عبد الكريم قاسم قائداً شعبياً أتى الى السلطة بطريقة قد تكون عفوية وهو أبن الشعب ومن منطقة الصويرة وكان معلماً قبل دخوله سلك الجيش ، ولم يمتلك خبرة في السياسة وخاصة مرحلة الخمسينيات كانت المنطقة تلتهب اثر ضياع فلسطين ١٩٤٨ وبدأية نشأة إسرائيل كدولة .

الصراع السياسي مبني على مصالح دول عظمى كانت تتقاسم النفوذ والسيطرة على المواقع الإستراتيجية ومصادر الطاقة واستقرار النفط كمصدر أساسي للطاقة وكانت الثورة الصناعية الأوربية في أوج عظمتها بعد الحرب العالمية الثانية التي انتهت عام ١٩٤٥ وكان العراق البلد الذي تتنافس عليه قوى عالمية أبرزها المعسكر الغربي من جهة ومحاولة أيجاد موطئ قدم قبل المعسكر الاشتراكي فيه .

ترجمت هذه الظروف جميعها على الواقع السياسي وزاد تعقيداً وفوضى على ما هو عليه مما تسبب في رأينا الى عدم قراءة الواقع السياسي العالمي قراءة عقلانية مما قاد البلد طيلة عقود من الزمن الى تداعيات سياسية فوضوية جعلته لعقود من الزمن غير مستقر وما دام المعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية وهي غير مطمئنة على مصالحها الاقتصادية تجعل من البلد غير مستقر لعقود قادمة .

حاول عبد الكريم قاسم أن يكون شعبيا بتحقيق نوع من الرفاهية لطبقات شعبية مغلوبة على أمرها وجدت نفسها داخل المدينة العراقية اثر الهجرة من الريف الى المدينة بسبب تدهور أوضاع الزراعة في العراق ، إضافة الى الزيادة في سكان العراق جعلت المواطن العراقي في أمس الحاجة الى تحسين وضعه الاقتصادي ومع وجود مردود مادي من شركات النفط العالمية التي كانت تدير أنتاج النفط العراقي بنيت أحياء كثيرة في المدن العراقية منها مدينة الثورة تقريبا في اغلب مدن العراق ومنها مدينة الحلة ووزعت أراضي كثيرة لطبقات المعلمين والموظفين وظهرت أحياء كثيرة في هذه المرحلة ومنها حي الإسكان والعمال وحي الشاوي ونادر والأمام والزهراء فكانت الدولة تقدم بعض التسهيلات العقارية .

ومع صدور قانون رقم ٨٠ الذي نظم صادرات النفط وزاد من العائدات عام ١٩٥٨ زاد الدخل القومي وظهر نوع من الرفاه الاجتماعي والاقتصادي وخاصة بعد أن سن قانون رقم ٧٣ عام ١٩٥٩ لإنشاء جمعيات الإسكان وقد أعطيت مجموعة من القروض المادية وتم فتح وتبليط بعض الطرق الخارجية مثل طريق بغداد وكوت وبغداد سامراء وقدمت مؤسسة دوكسياس مشروع مخطط لمدينة بغداد عام ١٩٥٩ والذي طرحت بموجبه مشروع قناة الجيش في الجانب الشرقي من بغداد وتم توزيع أراضي جديدة وخلق أحياء جديدة وفي السليمانية انشأ مشروع ١٥٠ داراً نموذجية لمتضرري الفيضان بطابقين ودور للضباط في اليرموك ودور إسكان في أربيل عددها ١٥٢ داراً عام ١٩٦٠ . ١٩٦١

بطابق واحد ومشروع إسكان البصرة عام ١٩٥٩ وعددها ١٧٧٦ داراً ومشروع إسكان كربلاء ٤٧٢ داراً عام ١٩٦٠ ومشروع إسكان الثورة في بغداد وعددها ٩١١ داراً لإسكان أصحاب الصرائف ومثلها في الكوت وعددها ٢١٨ داراً وكذلك لموظفي الكهرباء في البصرة ومشروع إسكان بابل ومدينة الثورة في الحلة ومشروع إسكان الرمادي وعددها ١٥٥ داراً عام ١٩٦٠ ومشاريع سكنية أخرى .

كانت اغلب النماذج السكنية المذكورة ذات تصاميم بسيطة وتتراوح بين طابق واحد وطابقين وبمواد شائعة الاستعمال محليا وبمهارة تكنيكية محلية محدودة ولكنها استطاعت أن تلبي كثيراً من الاحتياجات العامة وخاصة الشعبية وساهمت في تشغيل أيدي عاملة كثيرة في ظل ازدياد في نسبة السكان وظهرت المدن تبدو أنها تتوسع بصورة مفاجئة .

تميز الإنشاء بالبساطة بسبب ضعف الإمكانيات العامة وبداية التجربة رغم أن العراق مهد الحضارات وخاصة بابل . كانت مساحة الدور لا تتجاوز ١٥٠م^{٢}في أحسن الأحوال ومساحة الغرف لا تزيد عن ١٦م^{٢} بسبب استخدام حديد الشيلمان وظهرت الأبواب الحديدية داخل وخارج الدور والشبابيك المطلة على الشارع وتميزت دور الأغنياء باختلاف في المساحة وبوجود حدائق خلفية وكراج للسيارة حيث بدأت تظهر في شوارع المدينة ويملكها نفر قليل من أهل النفوذ الاقتصادي السابق .

قامت الدولة بإصدار قانون الإصلاح الزراعي وتوزيع الأرض على الفلاحين وإعطاء حصص للفلاحين مع الملاك وبسبب عدم قدرة الفلاح

المادية وضعف حاله تسبب في هدر مساحات واسعة من الأراضي وتحولها الى أراضي بور وتضررت الزراعة كثيراً في العراق واستمر هذا التدهور في الزراعة الى يومنا هذا رغم محاولات الدولة في الإصلاح والمساعدة لكنها لم تفلح في ظهور نتائج ايجابية ويصعب تفسيرها أثرت الهجرة من الريف الى المدينة كثيراً في خلق مدن مبعثرة عفوية التكوين مما زاد في بقاء مشكلة السكن متزايدة ومستفحلة وظل هم العراقي في إنشاء سكن همه الأول في الحياة مما زاد من حجم المشاكل الأخرى الناتجة عن ذلك وزاد من ذلك انشطار العوائل العراقية وتكاثرها وقامت الدولة بمساعدة الأهالي بقروض عقارية ميسرة وثمة مؤشرات تؤكد حركة العمران رغم بساطتها .

كانت اغلب الدور من طابق واحد عدا حي الماشطة ظهر من طابقين وظهور بعض الأبواب الخشبية في داخل الدور بعد أن كانت حديدية وظهور الاسيجة الخارجية وازدادت العمالة القادمة من الريف وظهور المدارس وزاد الطلب على الدراسة والتعليم وتخرجت أعداد كبيرة من المعلمين والمدرسين ولا حقا قدوم مجموعة من الأطباء والمهندسين ومنهم من تخرج من جامعة بغداد . لكن المدينة بقية تعاني من عدم وجود تخطيط ستراتيجي عمراني يطور المدينة لغاية يومنا هذا ولا زالت البلدية تحكمها قوانين بالية عفا عليها الزمن ورغم ازدياد كادرها لكنها لم تتطور ولم تتطور المدينة .

وظفت ثورة ١٩٥٨ مجموعة من الخطط لتطوير الزراعة والري والصحة والعمران وظهرت مستشفى الجمهوري وحي الإسكان والحي

الجمهوري وغيرها من الأحياء . ما أريد قوله هنا أن هذه التناقضات السياسية التي مر بها العراق أثرت بصورة كبيرة على العمران ومن جانب آخر أثرت على الشخصية العراقية التي هي أصلا عبر تاريخها شخصية قلقة وعلاقتها مع الدولة علاقة خصومة حيث لم تشعر الشخصية العراقية بانتماء أية حكومة للشعب لا بل إنها تعتبر الدولة غير مهتمة برغباتها ومن الجدير بالذكر أن ما يقلق الشخصية العراقية عدم امتلاكها داراً وحين يحصل عليها بطريقة ما يقول أصبحت اليوم عراقياً حيث امتلك في هذا الوطن قطعة ارض والغريب أن العراقي لا يحصل على قطعة ارض أو دار سكن إلا بشق الأنفس وإجمالا مثل هذه الظروف تؤثر على اقتصاديات الفرد العراقي التي هي على مر التاريخ هزيلة وبالتالي العمارة نتاج لحركة المجتمع تعبر وترسم وتنتج الشكل العمراني للمدينة .

وتأسيساً على ذلك كانت العمارة في مدينة الحلة ناتجة عن الوضع العام رغم تغير الأنظمة لكن ما أشرت إليه بقي مستمراً الى يومنا هذا .

بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ظهرت دور الإسكان ومصطفى راغب بمساحات لا تزيد عن ١٥٠م^{٢} وبناؤها من الطابوق المحلي والتسقيف بالشيلمان المستورد وغرف لا تزيد عن أربعة أمتار والسقوف بطريقة (العقادة) وفيها سطوح لغرض النوم فيها ليلاً في فصل الصيف اللاهب وبدأت ظهور الشرفات وكانت الدور ملاصقة بعضها البعض وبينها شوارع فرعية أو أزقة لا تتعدى عرض ٦م حيث لم تكن هذه العوائل تمتلك السيارة ، وتطور الأمر لاحقا إلى ظهور أحياء الجمعية وحي

الحسين وحي المرتضى بمساحات تتعدى الأربعمائة متر وفيها حدائق أمامية وشوارع تعدت ١٠م وبدأت تظهر السيارات يشكل اكبر وكانت اغلب الدور فيها شرفات ومحجرات حديدية واسيجة وكراج أمامي مكشوف للسيارة المرتقب امتلاكها وظهور الشتايكر والكاشي الموزائيك للغرف المحلي الصنع طبعاً ، بعد أن كان الكاشي الأسمنتي شائعا وظهور الأبواب الخشبية للغرف الداخلية والأبواب الحديدية في الخارج بصورة عامة تجنبا للسرقة التي كانت ولا زالت مستمرة في البيوتات العراقية تزداد كلما ضعفت هيبة الدولة نتيجة لتبدل الحكومات وازدياد البطالة وضعف الحالة .

وكانت دواخل الغرف تزين بالجص والبورك بعد ما كانت تكسى بالاسمنت الذي يكون حاراً في الصيف وبدأ اختزال الجدران بدل ٤٨سم عرض الجدار الى ٣٦سم ثم سمك ٢٤سم وبطريقة الحل والشد وللقواطع ١٢سم وعادة ما يطلق على أوصاف هذا البناء بالعامية طابوقتين أي ٤٨سم وطابوقه ونصف كانت مادة الطابوق المفخور سائدة في البناء واستمرت الى يومنا هذا بسبب رخصها ومتانتها ولكونها تنتج محليا وظهرت بعض الشرفات الكونكريتية تطعم البناء في الطليعات فوق الشبابيك (البيجات) أو تطلق عليها مكسرات ضوء الشمس في اللغة المعمارية وبعض الشرفات تسندها الأنابيب المعدنية المزخرفة وبدأت تظهر الشبابيك الكريتال (أو المسمى محليا حرف (T)) وكانت الشبابيك كبيرة نسبيا مقلدة للعمارة الأوربية نتيجة لقدوم بعض الدارسين من الخارج وتأثرهم بعمارة بلدانها وظهرت الدور وفيها عدة غرف نوم وهول واستقبال

للضيوف ومداخل وفي بعض منها تحتوي على سرداب في دور بعض الأغنياء وتدريجيا تلاشى وبدأت الواجهات تغلف بالاسمنت والطلاء بالبنتلايت والبوية في بعض الأماكن بعد ما كانت فقط بالطابوق وكانت الحمامات في هذه الدور تحتوي تجويفاً لغرض إحماء الحمام قبل استخدامه بالنار بعد أن كانوا يذهبون الى الحمامات المنتشرة في المدينة (حمام رجالي وحمام نسائي) وبظهور السخانات الغازية بدأت هذه الحمامات التي تحتوي على خزانات للماء تختفي من الوجود منتصف السبعينات تقريباً .

وبقيت في المدينة القديمة بعض الحمامات لكن روادها اقل من السابق بكثير وكانت السلالم في الدور تنشا بطريقة العقادة أيضا أي تبنى وتصب أرضيتها بالسمنت المصقول ولاحقا تغلف بالكاشي والمحجر (المسند) حديدي بدل بنائه سابقاً بالطابوق وفي بعضها خشبي .

كانت خارطة الدور متواضعة بسبب صغر المساحة كما أسلفنا في بعض الأحياء التي لم تتعدى ١٥٠م^{٢} ولكن في الجمعية وحي الحسين توسعت هذه الدور وأصبحت ٤٠٠م^{٢} أو أكثر وزعت على المعلمين والمدرسين وساعد القرض العقاري في ظهور أحياء سكنية مرفهة وبدأت ظهور طبقات اجتماعية مثقفة وتطور المجتمع وازدهر خاصة بعد تزايد عائدات النفط وبدأت الدولة بإنشاء المدارس وظهور المستشفيات مثل مستشفى الجمهوري الذي شيد من قبل وزارة الإسكان والتعمير . مديرية مباني بابل والذي كان من ضمن الخطة الخمسية التي كانت معدة واستمر بناؤها من عام ١٩٦٧- ١٩٦٩وظهور بعض الأبنية الرسمية

وتطور الصناعات الإنشائية مثل صناعة الطابوق وصناعة الكاشي وازدهار حرفة البناء وتشغيل أيدي عاملة كثيرة ومع تبدل الحكم عدة مرات شاب هذه الفترة شيء من الركود تميز بالمد والجزر.

كانت الخارطة الستينية تحتوي على مدخل واستقبال وهول وطعام ومطبخ في الخلف وغرفتين نوم وحمام وتواليت وغرفة أو غرفتين في الأعلى وسطوح كبيرة ونادراً ما كانت هذه الدور تتلاصق وممر أو ممشى حول الدار كثيراً ما كانت من الكونكريت المسلح لكن بقيت العقادة بالشيلمان لباقي الغرف.

لم نؤشر بناء مشاريع عمرانية ضخمة في مدينة الحلة غير ما ذكر ولكن يؤشر الى أنه وضعت كثير من الخطط في الوزارات نفذت لاحقاً من قبل الحكومات القادمة ، ومن الجدير بالذكر رغم قصر الفترة الزمنية لكن لها إيقاعها في الحياة العراقية لأسباب متعددة .

وبصورة عامة يمكن تأشير أن هذه المرحلة تميزت بالنمو الأفقي غير المدروس ولكنها وفرت مساكن لذوي الدخل المحدود والمتوسط وأفرزت التصاميم الجديدة نوعاً من الأعمال بأنماط متكررة في أسلوب توزيع الفضاءات الداخلية والمعالجات الخارجية للواجهات واستخدام الواجهات ذات المنافذ الكبيرة توافقاً مع الأسلوب العالمي الشائع آنذاك والانتقال من التصاميم القديمة ذات الفناء الداخلي الى الفضاءات المركزية المغلقة والمفتوحة على الخارج .

في عام ١٩٦٠ شيدت بناية مصرف الرافدين ومن تصميم انستاس فرجو ونفذها المقاول حميد السيد سلمان ومن الأبنية التي شيدت في

نهاية هذه الفترة مستشفى الحلة الجراحي الذي كان ضمن الخطط الخمسية وبوشر به عام ١٩٦٧ وتم انجازه عام ١٩٦٩ من قبل وزارة الإسكان والتعمير وقام بتنفيذه المقاولان المهندسان عبد الله الجابر والياس بطرس .

وكذلك بناية محكمة استئناف بابل شيدت من قبل وزارة الإسكان والتعمير ١٩٦٧-١٩٦٨ من قبل مديرية المباني من تصميم المهندس المعماري الدكتور معاذ الآلوسي وتم تنفيذها من قبل نفس المقاولين السابقين .

العمارة من عام ١٩٦٨-٢٠٠٣ في مدينة الحلة

اتسمت هذه المرحلة بمتغيرات سياسية واجتماعية واقتصادية كبيرة فهي من أكثر الفترات المقلقة التي مرت على العراق في تاريخه الحديث هذا التغيير المستمر في الحكم في العراق قاد البلد الى كثير من الفوضى والارباك ، واضر كثيراً في الحركة العمرانية وقاد البلد الى عدم الاستقرار وسوء في التخطيط وهدر كبير في موارد البلد وطاقته البشرية وثرواته في حين استطاعت دول عديدة في المنطقة والعالم خلال هذه الفترة بناء قاعدة تحتية متينة فضلا عن بنائها قاعدة صناعية وعمرانية وسياحية واجتماعية ذات نظم متطورة مثل السعودية ودول الخليج الأخرى .

تأثر العراق خلال هذه المرحلة بالتجارب الاشتراكية العالمية التي كانت سائدة مثل تجربة الاتحاد السوفيتي والدول الاشتراكية الأخرى وانقسمت هذه الفترة الى قسمين الأولى تمتد من عام ١٩٦٨م . ١٩٧٩م حيث حكم الرئيس احمد حسن البكر وهو عسكري أتى الى السلطة بانقلاب عسكري والثانية من عام ١٩٧٩م . ٢٠٠٣م حيث حكم العراق الطاغية المستبد صدام حسين وهو بدون أية مؤهلات (سوى البلطجة) لغاية دخول القوات الأمريكية وسقوط الصنم .

امتازت المرحلة الأولى بنوع من الاستقرار الحذر في حين اتسمت المرحلة اللاحقة بكثير من الفوضى والتدهور والإرباك وهدر الموارد وتهديم كل ما تم بناءه خلال الفترة الأولى حيث الحرب مع إيران استمرت ثمان سنوات أحرقت الأخضر واليابس وأخرت العراق سنوات

طوال تبعتها غزو النظام الكويت والحرب مع أمريكيا وتحول البلد الى (فطيسه) تنهشها الضباع .

يمكن القول أن البدأية الأولى للعمران كانت امتداداً للمرحلة السابقة لا بل الخرائط والخطط التي وضعت في المرحلة السابقة استكمل بنائها وتم تنفيذ قسم كبير منها ومدينة الحلة كالعادة في السنين السابقة كانت مهمشة .

ظهرت أحياء مثل ١٧ تموز وحي الكرامة الأولى والثانية والثالثة والرابعة وحي الحسين الجزء الثاني الجمعية الجزء الثاني ولاحقا حي المخابرات وهو امتداد لحي الجمعية ومن ثم الحي العسكري والمحاربين والمهندسين ولاحقا الأساتذة والمحاربين والبكرلي ونادر الثانية والثالثة وظهور شارع ٦٠ بعد أن كان خارج المدينة أصبح يقسم المدينة الى قسمين . حيث أنشئت عدة جمعيات ونقابات تأثرا بالحركة الاشتراكية العالمية مثل جمعية إسكان بابل وجمعية المحاربين ونقابة العمال والفلاحين والمهندسين والمحامين والأطباء وكانت هذه الجمعيات وزعت أراضي وأعطى المصرف العقاري قروضاً ميسرة دعمت البناء وشهدت بناء مدارس وفتح كليات جديدة وتعدى الأمر لاحقا الى فتح عدة جامعات في محافظات عديدة ومنها جامعة بابل وكانت جامعة بابل قد بنيت من قبل شركة يابانية وكانت مخصصة الى معهد التكنولوجيا ومن ثم خصصت الى الجامعة بعد مرور عام من استلامها من قبل المعهد . وشهدت المرحلة بناء دوائر عديدة مثل الاتصالات والزراعة متعددة الطوابق وظهر المصعد في هذه الأبنية بعد أن كان مقتصراً على بناية

مصرف الرافدين ولاحقاً البلديات والري بعد أن كانت دائرة الزراعة والري دائرة واحدة قبل انفصالها .

في عام ١٩٧٤ باشرت شركة سكابانيوس اليونانية في مشروع ري حلة . ديوانية وكان الاستشاريون شركة فديكو الهولندية وقامت دائرة الري بإنشاء دور للموظفين والمهندسين من تصميم المهندس المعماري عزيز السماوي وقام بتنفيذها المقاول محمود السيد كريم وكذلك قامت شركة كرفكايا اليوغسلافية بتجهيز دور جاهزة وكرفانات في حي الضباط والجمعية والثورة لصالح دائرة مشاريع حوض الفرات ولاحقا بيعت جميعها الى الموظفين في دائرة الري وكانت بعض الشركات الأجنبية قدمت الى العراق لاستصلاح الأراضي وبعض المشاريع الأخرى .

ومن الجدير بالذكر أن دائرة اتصالات بابل كانت قد أنشئت من قبل المؤسسة العامة لاستصلاح الأراضي . دائرة الفرات العامة والت الى المنشاة العامة للاتصالات وكذلك دائرة رعاية الأطفال .

وظهرت مدارس بأعداد اكبر وتم بناء إعدادية للصناعة عام ١٩٧١ من قبل وزارة الإسكان والتعمير . دائرة المباني وضمت صفوفاً وروش عمل وقاعات وكذلك شيدت نفس الدائرة إعدادية زراعة الحلة في أبي غرق وضمت مجموعة أبنية وقاعات متعددة الأغراض وبناية خاصة للدواجن وبناية لتربية الحيوانات وضمت مجموعة من الدور خصصت للمتزوجين والعزاب من المنتسبين .

وكذلك شيدت مدرسة الفنون الشعبية من قبل وزارة الإسكان والتعمير مديرية المباني عام ١٩٦٨- ١٩٦٩ فضلا عن تشييدها أقساماً

داخلية في مصطفى راغب عام ١٩٦٨ ثم أصبحت مديرية للتربية ثم عادت بعد تشييدها لتربية بابل وكذلك شيدت بناية رئاسة الصحة القديمة عام ١٩٧٠ . ١٩٧١ في الخسروية .

وتم تشييد مصنع نسيج الحلة وعمارات سكنية تابعة للمصنع وسميت حي النسيج جاورت حي العمال التابع أيضا للمعمل وبنيت مدينة الإسكندرية ومصانع للآليات الثقيلة وشيدت عمارات سكنية وبدأ السكن العمودي يأخذ دوره لكن دخول العراق في الحرب مع إيران أوقف كثيراً من المشاريع ولاسترضاء فئات كثيرة مشاركة في الحرب تم توزيع قطع أراضي عديدة للعسكريين فظهرت أحياء الضباط والحي العسكري للمراتب الأخرى والشهداء والأسرى والمفقودين إضافة الى توزيع قطع للمسؤولين كانت دائما متميزة عن عامة الشعب . شهدت هذه المرحلة أنشاء جسر سعد سمي جسر الهنود لتنفيذه من قبل شركة هندية وجسر بته وجسر بيلي الحديدي المؤقت ولكنه إستمر في البقاء لفترة طويلة ونصب أخر مجاور الجسر الذي سمي الجسر الجديد ولغاية يومنا هذا علماً أن جسر بيلي هو جسر عسكري ينصب مؤقتاً لنقل الآليات العسكرية ثم ظهرت شركات حكومية وكثر المقاولون ومنه ثم ظهرت شركات التصنيع العسكري .

عام ١٩٨٠ صدر قانون ٥٨١٠ لتحديد المساحات السكنية بـ (٢٠٠م^{٢}) وتحديدات أخرى بسبب ازدياد أزمة السكن وانحسار الأراضي الزراعية واستمرار التوسع العشوائي الأفقي بالرغم من صدور قرار مجلس قيادة الثورة (المنحل) المرقم ٩١١ في ١٢/ ٣/ ١٩٧٣ لدراسة أمكانية

الإسكان العمودي وعام ١٩٧٨تم أنشاء معامل البناء الجاهز لكن هذا التخطيط سرعان ما أن انتهى بقدوم المرحلة التالية عام ١٩٧٩.

ويمكن تأشير بعض العلامات الايجابية بارتفاع دخل الفرد ووجود قروض عقارية وتوزيع أراضي من قبل الجمعيات والمؤسسات الأخرى وكلفة العمالة المنخفضة ساهم في حلحلة أزمة السكن سرعان ما زالت كثير من هذه الأمور في زمن الطاغية .

وكانت البداية امتداداً لعمارة الستينيات وظهر بعض التطور في خرائط الدور الحديثة والتي تضمنت استقبالاً وهولاً ومرافق ومطبخاً وغرف منام وأسطح واسعة وظهرت اسيجة مرتفعة وفي بعض دور الأغنياء أسطح مائلة مع دخول مقومات الحداثة في الثمانينات مكيفات الهواء بعد أن كانت الحالة مقتصدة على المبردات وشهدت سوق العقارات ازدهاراً تدريجيا وارتفعت العمالة والمواد الإنشائية ولوحظ أيضا ازدهار مصانع المواد الإنشائية وقدوم العمالة العربية وبالتحديد المصرية والسودانية لانشغال أبناء البلد في الحرب وتجدر الإشارة الى تكليف معماريين عالميين مثل ليكوربوزية وغيرهم لإنشاء مشاريع وتكليف واستدعاء شركات أجنبية ولكن اقتصرت أكثرها على العاصمة .

وبصورة عامة يمكن القول الى أن خلال هذه الفترة لا توجد رؤيا تخطيطية صحيحة مبنية على أسس تخطيطية وإحصائية رغم فتح دوائر للتخطيط العمراني ولكنها غير مكتملة الرؤيا والوسيلة والمتعارف عليه في دول العالم يوجد مخططين للمدينة يرسمون واقع المدينة العمراني الحالي والمستقبلي وفق مخطط محسوب ومدروس ووفق رؤيا تخطيطية

وإحصائية دقيقة حتى أن الشارع يحسب فيه القدرة الاستيعابية للمواطنين وعدد الآليات وانسيابية السير ونوع الخدمة المراد تقديمها في هذا الشارع هل هي تجارية أم ترفيهية . صناعية . صحية وفق متطلبات المدينة أي خلاصة القول أنها مبنية على أسس علمية لأعلى أساس عفوي مثلما يجري في العراق يتحول الشارع بين ليلة وضحاها من سكني الى تجاري وتخبط عمراني مستمر هذا ما حصل ويحصل ومستمر في العراق للأسف بسبب توالي مسئولين لا يفهمون شيئا في العمارة أي بعبارة أدق الرجل غير المناسب في المكان المناسب وهكذا دواليك .

وعلى مرور الزمن كانت دوائر البلدية ذات الأنظمة القديمة والمتخلفة تحاول استرضاء مسؤولون في الحصول على قطع سكنية متميزة لهم ولأقربائهم كي يبقوا أطول فترة في مناصبهم ، ومن جهة أخرى كانت القرارات السريعة والمرتجلة لما يسمى بمجلس قيادة الثورة في توزيع الأراضي على المسؤولين وعلى الضباط والأسرى والمفقودين والشهداء بصورة سريعة وعشوائية وارتجالية ساعد على كثير من الفوضى في ارتكاب كثير من الأمور من قبل ضعفاء النفوس حتى أمسى الفساد والرشوة مسالة طبيعية ، فضلا عن العنصرية في تفعيل منطقة على حساب تهميش مناطق كثيرة ومنها الحلة .

نشأت أحياء بصورة سريعة وامتدت كيلومترات في الاقضية والنواحي ومراكز المدن وشهد العراق حركة عمرانية محدودة تميزت بالفوضى وتركزت في إنشاء دور سكنية على مساحة ٢٠٠م^{٢} .

وما أن حل عام ١٩٨٠ حتى بدأت الحرب العراقية الإيرانية التي

عطلت الحركة العمرانية في هذا البلد العظيم وتحولت كل الإمكانيات الى الجيش والجهد الهندسي كذلك واستمرت الحرب ثماني سنوات أهدرت ثروات العراق في البارود وعلى الأسلحة وحصدت أكثر من مليون شهيد وأسير ومفقود وخلفت جيشاً من الأرامل واليتامى والحروب لا تخلف إلا الرماد .وما أن انتهت الحرب بواقع لا غالب ولا مغلوب وإذا بالحاكم الدكتاتور يقوم باحتلال الكويت وتبدأ مرحلة جديدة من تدمير العراق وحدوث الانتفاضة الشعبانية وكان النظام العراقي يسقط من هذه الانتفاضة البطلة التي حصد فيها النظام ألافا مؤلفة من البشر وزاد من طغيانه وفي الوقت ذاته بدأت معركة جديدة إلا وهي سنوات عجاف من الحصار بفرض عقوبات من قبل الأمم المتحدة التي أثرت كثيراً على البلد بعد أن دمرت الحرب مع الحلفاء بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية لإخراج العراق من الكويت كل البنى التحتية وعزلته عن العالم بحصار قاسٍ ذاق منه الشعب الويلات وأخر العراق قروناً كاملة واتسعت المقابر وانتهكت كل الحقوق الإنسانية .

رغم أن خرائط الدور في بداية السبعينيات كانت امتداداً لمرحلة الستينات ولكن بعد أن صدر قانون ٥٨١٠ عام ١٩٨٠ بتحديد المساحات السكنية بدأت خارطة الدور تتغير بعض الشيء نظراً لتحجيم المساحات وخاصة وان أكثر القطع الموزعة كانت ٢٠٠م^{٢} ومساحتها ١٠×٢٠م فتم اختزال الهول وأصبح فقط الهول الداخلي الذي كان يسمى (الكليدور) أو الممر ودمج مع السلم وتم اختزال غرفة الطعام التي كانت في خرائط الستينات الى غرفة واحدة فقط هي الاستقبال وبدل

الغرفتين نوم في الطابق الأرضي أصبحت غرفة واحدة وهكذا كانت الدار تضم مطبخا مع مخزن صغير للمواد الغذائية واستقبال ذو مدخل وهول داخلي مع مرافق صحية وغرفة نوم وفي الطابق الأعلى بين غرفة الى غرفتين أن سمح الوضع الاقتصادي للشخص هذا ما تسمح به المساحات الموزعة في حين بقي البعض الأخر ممن يحصل على ٣٠٠م وأكثر يتمتع برفاهية اكبر في المساحات ولكن بنفس التفاصيل على إضافة غرفة نوم أخرى أو أكثر في الطابق الأرضي وبقيت الدور تتمتع بالسطوح الواسعة والمهمة لقضاء الليل في ظل فصل الصيف اللاهب خاصةً مع تفاقم مشكلة الكهرباء في العراق وانقطاعه المستمر وكانت دور الأغنياء كالعادة أكثر رفاهية وسعة وجمالا ولاحظنا نوعا من التغيير في استعمال المواد الإنشائية فكانت اغلب السقوف من الكونكريت المسلح بعد أن كان الشيلمان والعقادة هما السائدان وبدأت تظهر الواجهات بشكل أخر قسم كبير منها بطريقة اللبخ والنثر وبدأ واضحا استخدام التغليف في حجر الحلان المحلي المستخرج من غرب العراق ولاحقا حجر السينو المستخرج من شمال العراق وبعض دور الأغنياء بدأ باستخدام المرمر المحلي وبدأت تظهر الواجهات ذات النوافذ الكبيرة الحجم ذات الكتائب لمنع السرقة وكانت كل الشبابيك من الحديد والأبواب الخارجية عدا باب الاستقبال من الخشب الصاج المكبوس بعد أن كانت هذه الأبواب من الحديد المزخرف وشاع استخدام مكيف الهواء بعد أن كانت لغاية الثمانيات مقتصرة على المبردة أو المروحة السقفية وكانت اغلب الأرضيات من الكاشي الموزائيك ولاحقا

الكاشي المطعم بالمرمر وبعد أن كانت القياسات (٣٠ × ٣٠سم) تحولت الى (٤٠× ٤٠سم) وظهرت الازارة بصورة واضحة بعد ان كانت نهاية الجدران تكسى بالاسمنت والأعلى بالجص والجص الفني (البورك) وظهر بعض التطور في مهنة البناء وظهرت بعض السقوف المزخرفة بالنقوش العادية والمغربية وكانت الجدران عالية والستائر عالية لضمان عدم السرقة وحجب الرؤيا وكانت جميع الخرائط تتبع النظام المركزي المغلق المفتوح من الخارج على حديقة الدار وتكسى السطوح بالقير والتراب ثم تبلط بالفرشي المحلي وبعض الدور بالكاشي العادي أو قطع الكونكريت في البعض الأخر (الشتايكر) والأبواب من خشب الجام وبعض الدور من خشب الصاج وبدأ يظهر السيراميك في المطابخ والحمامات بعد أن كانت تكسى بالاسمنت وتطلى بالبوية وتعتمد درجة الانهاء والبناء على الحالة الاقتصادية للمالك .

وكانت اغلب الدور تتمتع بالشرفات والطارمات والحدائق حتى وان كانت صغيرة رغم أن الظروف الاقتصادية كانت صعبة على العراقيين ولم يتمتعوا طيلة حياتهم بالرفاهية التي تتناسب وثرواتهم رغم الفوضى في القرارات ولكن كانت هذه الحملات تحل جزءاً كبيرا من مشكلة السكن التي عانى منها الكثير في العراق ولا يزال يعاني منها إذا ما علمنا أن نسبة النمو في المجتمع العراقي تتجاوز ٥% كانت الأحياء السكنية تمتد الى كيلومترات عديدة وبدون أية خدمات ولم تعبد الطرق وبدون مجاري وبالكاد يصل إليها الماء الصافي والكهرباء وفي ظروف الحرب كانت بيوت الفقراء حتى بدون شبابيك أو أبواب أو مجردة من كافة الانهاءات

فقط وجود سقف يأويهم في حين كانت السلطة تعبث في افخر الأماكن وتبنى القصور الرئاسية ودور المسؤولين والشعب تحت نيران الحروب والجوع والماسي .

المصادر :

- **العمارة الحديثة في العراق . الملا حويش . عقيل نوري . دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٨٨ .**
- **تاريخ الحلة . الحلي الشيخ يوسف كركوش ١٩٦٥ منشورات المكتبة الحيدرية في النجف .**
- **مقالات في العمارة . الحسيني نصير علي . دار الغسق ٢٠٠١ .**
- **دراسة في عمارة الخمسينات في العراق . السلطاني د. خالد . أفاق عربية ع ١٦ ، ١٩٨٠ .**
- **دراسة في عمارة العراق ما بين النهرين . السلطاني د. خالد . افاق عربية العدد ١٧، ١٩٨٠ .**
- **تجميل المدينة العراقية . كمونة د. حيدر . أفاق عربية العدد ٢،١ ،٢٠٠٢**
- **المدينة العراقية رؤية معاصرة . الحسيني نصير العدد ٢٤ ، مجلة الموقف الثقافي ١٩٩٩.**
- **حديث مع المهندس مصطفى خليل البياتي . ٢٠٠٣ .**
- **حديث مع المهندس حليم كاظم عبد الواحد .٢٠٠٣ .**

دراسات في
بعض الآثار البابليـــة

(برج بورسيبا)(٣٤)

يقع برج بورسيبا إلى الجنوب الغربي من مدينة بابل التاريخية ، ولهذا البرج قصص متعددة أثارت إلى يومنا هذا أراء مختلفة ، ووجهات نظر متباينة ،منها ما استند إلى قصص دينية وتاريخية وقسم استند إلى الحفريات الترابية ،وما استنبطه علماء الآثار علماً إن والتنقيبات لا زالت مستمرة والشكوك لا زالت قائمة ، وقد يكشف تطور الآلات الحديثة في الحفريات التنقيبات حقائق جديدة في القرن القادم .

بدءاً سأحاول أن أصف المكان بوضعه الحالي ومن ثم التطرق إلى بعض المرجعيات ، يتكون المكان من تلين ترابيين ضخمين ، الأول برج عالي ضخم ارتفاعه نحو ٥٩ م يدعى برس ويتكون هذا التل الضخم من معبد وزقورة عالية وسط أرض منبسطة واسعة تكاد تكون صحراء قاحلة ، وهي عبارة عن خرائب ، ويعلو هذه الخرائب بقايا من طابوق تعرض إلى نار قوية حتى بدأ مصهرجاً والتل الآخر أيضاً هو تل كبير يعلوه مقام ولادة النبي إبراهيم أبو الأنبياء وخليل الله إضافة إلى احتواء المقام على الصخرة التي أخفته فيها أمه حين ولادته تخلصاً من قتل النمرود وجنوده له ، وهو عبارة عن مقام فيه مئذنة ويؤدون إليه مراسم الزيارة بشكل دائم ومستمر لحد الآن.

المرجعيات الدينية :

كثيرة هي الروايات حول هذا المكان منها الروايات الدينية والتاريخية التي تؤكد إن هذا المكان كان يوماً ما مدينة كبيرة تدعى بورسيبا ، ولها صلة بمدينة بابل التاريخية وكانت هذه المناطق مزدهرة بالحضارة والقوة وكان في هذا المكان حاكم قوي أسمه النمرود وقد ذكر في التوراة في ت ٥ الإصحاح العاشر : (وكوش ولد نمرود الذي إبتداءً يكون جباراً في الأرض ، الذي كان جبار صِدٍ أما الرب لذلك يقال كنمرود جبار صِدٍ أمام الرب ، وكان إبتداءً مملكته بابل وأرك وكأنه في أرض شنعار ، من تلك الأرض خرج آشور وبنى نينوى ورحوبون عير كالح ورسف بين نينوى وكالح هي المدينة الكبيرة) . وكان هذا الحاكم وقومه يعبدون الأصنام ، وقد أشارت الكهان على النمرود أنهم تنبئوا بولادة صبي سيحارب النمرود ، واستشار الملأ من قومه ، فأفتوا عليه بقتل كل طفل ذكر وتكريم كل أنثى تلد مع أمها .

ويقول العقاد (ومن أبرز وأشهر الروايات في النمرود والخليل ، من إن النمرود هذا أراد أن يتحدى آله إبراهيم فبنى له برجاً عالياً وصعد عليه ليقاتل الله في سمائه ثم طفق يرمي السماء بالسهام حتى عاد إليه سهم فيها وقد أصطبغ بالدم الأحمر ، فخيل إليه أنه أصاب مرماه ، ولكنه لم يلبث أن سقط على الأرض وسقط معه قومه ومن الصواعق زلزلت البرج وقوضت أركانه وتركتهم في بلبال حائرين ولهذا سميت المدينة موضع البرج بابل من تبلبل الألسنة والأفكار).

والحقيقة إن ما ذكر عن برج بابل أيضاً ذكر في التوراة ت ١١

الإصحاح وإن هذه القصة مع ما موجود إلى يومنا هذا من أثر واضح قاد كثيراً من علماء الآثار والحفريين إلى الاعتقاد الحازم ولفترة طويلة إلى أن بورسيبا هو برج بابل الشهير في التاريخ غير إن هذا الاعتقاد قد تغير لاحقاً .

وحيث إن قصة النبي إبراهيم تمتد إلى روايات متعددة ولكن أغلب الظن كانت حرباً بين عبدة الأصنام في عهد النمرود الذي كان يعتبر نفسه الإله والدعوى الجديدة التي قادها نبي الله إبراهيم دعوى التوحيد وكما ذكر ذلك في القرآن الكريم .[٣٥]

(إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون) وكذلك (إذ قال إبراهيم الذي يحي ويميت ، قال أنا أحي وأميت) " البقرة"

ولم تثن إبراهيم كل الجهود والوعود والتهديدات من قبل النمرود وجنوده وكذلك أبيه الذي يضع الأصنام إلى إقناعه ، بل زادهم حمقاً إلى رمي الخليل في النار وكانت المعجزة : وكما جاء في سورة الأنبياء :

(قالوا أحرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم وأرادوا به كيداً فجعلناهم الخاسرين) .

ومن المرويات الإسلامية الوثيقة ما رواه أبو الفداء حيث قال (وولد إبراهيم بالأهواز ، وقيل ببابل ، وهي العراق وكان آزر أبو إبراهيم يصنع الأصنام ويعطيها لإبراهيم ليبيعها، فكان إبراهيم يقول : من يشتري

ما يضره ولا ينفعه !.... ثم لما أمر الله إبراهيم أن يدعو قومه إلى التوحيد دعا أباه يجيبه، ودعا قومه فلما فشل أمره وأتصل بنمرود أبو كوش . وهو ملك تلك البلاد وكان نمرود عاملاً على سواد العراق وما أتصل به للضحاك ، وقيل بل كان نمرود ملكاً مستقبلاً برأسه . فأخذ نمرود إبراهيم الخليل ورماه في نار عظيمة فكانت برداً وسلاماً وخرج إبراهيم من النار بعد أيام ثم آمن به رجال من قومه على خوف من نمرود ، وآمنت به سارة وهي ابنة عمه هاران) .

وحيث إن كل هذه القصص والمرويات متواترة بالسماع فمن الصعب الجزم باليقين على أي منها .

المرجعيات الآثارية :

جرت في هذا المكان تنقيبات مختلفة ومن قبل فرق أجنبية ومحلية مختلفة ، ولا زالت هنا فرق أخرى تنقب لحد الآن حيث إن المكان يؤشر أهمية دينية وآثارية وتاريخية مهمة.

ومن أبرز الذين نقبوا هنا هو الآثاري الألماني روبرت كولد بناي والرحالة الروس وهليكا وآثاريون ورحالة كثيرون .

ومن خلال متابعتنا لكثير من أعمال المنقبين نستطيع أن نقول إن هذا المكان يعود من القدم إلى أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد حيث عثر عند إجراء عمليات التنقيب في السور الجبار وعلى عمق ٥ر٢متر تحت سطح الأرض على كبسولة أو محفظة في داخلها رجل من الفخار يرجع تاريخه إلى ما قبل ٢٥٠٠ سنة ، إلا أنه قد أصابه

التشويه بسبب هذه السنين ولم يبق من هذا التمثال الفخاري سوى عصاه الذهبية مع إشارة صغيرة فضية وبعض النحوت الزخرفية التي تمثل ثلاثة من الموسيقيين . وكل هذه على ما يبدو كانت متدلية من الحزام ، وقد تهاوت جميعها فوق أكوام الفخار الكائنة في هذه الكبسولة أو المحفظة .

غير إن في هذا المكان اكتشفت أشياء كثيرة تعود إلى زمن نبو خذ نصر وحتى إنها مختومة بختمه الثلاثي ، وفي اعتقادي إن هذا المكان يحمل من القدسية التي جعلت نبو خذ نصر يوليه أهمية قصوى ويرممه اهتماماً منه بالمعبد خاصة وهو معبد الإله نابو – ازيدا إذا ما أضفنا إلى ذلك إن نبو خذ نصر كان يعاني في نهاية حكمه من أحلام متعددة لعبت اليهود دوراً في التأثير عليه لإشعاره بإثم السبي البابلي ، حتى أنهم حاولوا بمختلف الوسائل استجداء العطف والوسيلة للتقرب إليه ويتضح ذلك جلياً من خلال سفر دانيال وتفسير أحلام نبو خذ نصر وقصة إحراق شدرخ وميشيخ وعبد نغو حين رماهم في النار ، ولم تحرقهم وهي قصة مشابهة لقصة نبي الله إبراهيم، ورغم تعدد القصص والروايات اليهودية المزيفة في التوراة لكنه يؤشر إن نبو خذ نصر في آخر أيامه كان يفكر في مسألة خلق الكون ،وإذا استثنينا هذا كله ، نجد إن الإله نابو إله الكتابة أصلاً يتمتع بمكانة خاصة بين الإلهة في وادي الرافدين وبالتحديد في علاقته بالإله مردوخ ورعاية الأخير الأبوية له باعتباره أبناً ولاحقاً أعتبر خلفاً لمردوخ في زعامة الآلهة وكان هذا المكان مركز عبادة الإله نابو ثم إن هذه الزعامة لم تأتي مصادفة لأن الإله مردوخ تولى زعامة الآلهة في حربها ضد تيامة في قصة الخليقة

البابلية وتوج كونه الإله الأقوى بعد منحه كل الصلاحيات الإلهية إبتداءً من الدواء وصلاحية كن فيكون إلى تقسيم مهام الإله وترتيب الكون لاحقاً كرمته الآلهة ببناء معبد ايساكيلا له في بابل تقدم فيه القرابين وتؤدي فيه الطقوس الدينية لا سيما وأنه الإله الرئيسي للملكة حمو رابي ، ومن هنا كان للإله نابو مكانة خاصة بين الآلهة من خلال هذه العلاقة المهمة حيث أكتسب مكانه أهمية خاصة عند البابليين وكانوا يأتون بزيارات أشبه بالحج إلى هذا المكان المقدس الذي يحتوي على فضاءات لإقامة الاحتفالات الدينية المهمة وإقامة الطقوس وتقديم القرابين وقاعات للدراسة ومن غير المستبعد أن تكون قمة الزقورة المصهرجة تعود إلى شهب أو صاعقة قوية ضربت المكان نتيجة غضب السماء .

المصادر :

١- العقاد – عباس محمود – إبراهيم أبو الأنبياء – منشورات بيروت – المكتبة العصرية

٢- جان بوتيرو – بلاد الرافدين – الكتابة – الفعل – الآلهة – ترجمة الأب البير أبونا – دار الشؤون الثقافية العامة ١٩٩٠ .

٣- موسى وأساطير الشرق – ناجح المعموري – عمان ٢٠٠١ .

٤- حوار مع الباحث أهديب غزالة – آثاري وباحث

٥- روبرت كولدفاي – معابد بابل وبورسيبا – ترجمة د . نوال خورشيد – وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٥ – المؤسسة العامة الآثار .

٦- الشيخ محمد حرز الدين – مراقد المعارف – الجزء الأول – ص ٢٢- ٢٥ – مطبعة النجف .

٧- العراق القديم – جورج رو – ترجمة حسين علوان حسين / الشؤون الثقافية.

٨- د . فاضل عبد الواحد – الكتابة تبدأ في سومر ٢٠٠١ – ص ٣٨ – آفاق عربية العدد ٢٠١ .

٩- محمود شكر محمود الجبوري – آفاق عربية ٢٠٠١ كانون الثاني – الكتابات الأولى .

١٠- د. فاضل عبد الواحد – من سومر إلى التوراة .

معبد نابو

الإلـه نـابو – أزيـدا [٣٦]– إلـه حرفـة الكتابـة عنـد البـابليين ولـه معبـد [٣٧] في بورسيبا جنوب غرب مدينة الحلة ، لا زالت آثاره قائمة إلى يومنا هذا ، رغم أنه يعود إلى فترات زمنية على أقل تقدير أكثر من ٥٦٠ سنة قبل الميلاد في حين برج بورسيبا يعود إلى أكثر من ٢٥٠٠ سنة قبل الميلاد حسب ما أخبرتنا به بعض التنقيبات ، حيث إن المعبد ملاصق تماماً للبرج لكن الاهتمام بالإله نابو ظهر بشكل متأخر في الدولة البابلية.

إن هذا المعبد استخدمه البابليون مكاناً للعلم أو إن صح التعبير جامعة دينية ، أو مكتبة فيها من أفانين العلم والأدب والسحر والفلك الشيء الكثير ، فضلاً عن ممارسة الطقوس الدينية ، وتقديم القرابين التي كانت من الأهمية البالغة عند البابليين لإرضاء الآلهة ، وحتى إن ذلك ورد في أغلب الأساطير إبتداءً من قصة الخليفة البابلية اينما إيليش – عندما كنت في العلا ومروراً بملحمة جلجامش ، حيث طلبت الآلهة من مردوخ بعد تتويجه بالزعامة أن يخلق لها مخلوقاً يتولى مهمة تقديم القرابين وإرضاء الآلهة بعد تعبها وقام بخلط الطين مع دم أحد الآلهة الشريرة ، وخلق الإنسان الذي يشابه الآلهة ويختلف معها في الموت بدل الخلود وحسب تفسير البابليين لطبيعة الحياة والموت في قصة الخليقة .

وفي هذا المعبد كانت تمارس طقوس عديدة منها الأربعين يوماً بعد الوفاة وذبح القرابين ، وتلطيخ جدران المعبد السفلية بالدم ، وتعليم حرفة الكتابة التي كانت تعني الشيء الكثير في بابل حتى إن التوراة

كتب في بابل في هذه الفترة تقريباً .

فضلاً عن الطلبات الإنسانية المتعددة من الآلهة إبتداءً من الانتصار في الحروب وانتهاءً بطلب الخلفة والرزق وغيرها .

وتتضح أهمية وقوة الإله نابو عند البابليين من خلال اللوح الخامس من أسطورة إيراوا شوم :-

أنا آشور بانيبال ، الملك العظيم ، الملك الصنديد
ملك العالم ، ملك آشور
أبن سرجون ملك آشور
كتبت ووقعت وطابقت هذا اللوح
بصحبة عدد من العلماء
دقق ألواح الطين وألواح الكتابة من الخشب
وهي نسخ من آشور وسومر وأكد
ووضعته في قصري لمطالعتي الملكية
كل من يمحو أسمي المكتوب ويكتب أسمه
عسى الإله نبو ، كاتب كل شيء أن يمحو أسمه ،

وتتعاظم لاحقاً قوة وأهمية الإله نابو إلى حماية الملك والاستعانة به لحماية الملوكية والعرش كما هو واضح في اسطوانة نبو خذ نصر :

أني نبوبلاصر ، صاحب السلطة في بابل ، ملك بلاد السومريين والأكديين . الحاكم العزيز الذي يأخذ بيده كل من الإله نابو ومردوخ ، المتواضع البسيط . الذي تعلم من تلقاء نفسه خشية الإله والآلهة ، المهتم بأمور ايساكيلا وازيدا ، الذي يتفقد معابد الآلهة الكبيرة وبناءً

على أمر نابو ومردوخ اللذين يحبان ملوكيتي ، وبالسلاح القصبة القوية المخيفة ايرا الذي أباد أعدائي ....

وتنتقل السلطة من نبو بلاصر إلى أبنه البكر نبوخذ نصر الذي يعظم الإله نابو وتزداد أهمية هذا المعبد بل وتزدهر، ونجد الاهتمام هذا في اسطوانة نبوبلاصر :

نبو خذ نصر ، ملك بابل ، الحاكم العزيز ، المفضل من قبل مردوخ ، الحاكم الكبير محبوب نابو ، صاحب الفطنة والذكاء ، الذي يبحث عن الحياة العزيزة ، الذي لا ينقطع عن إرسال الهدايا إلى إيساكيلا ، الحكيم المتعبد المهتم بأمور إيساكيلا (.....) أنني الابن البكر لبنو بلاصر ، ملك بابل ، منذ أن جعل مردوخ السيد الكبير ، رأسي عالياً ، وأعطاني تحت حكمي الناس القاطنين في الأقاليم القصية ، وازور بصورة مستمرة لأجل مردوخ معابد نابو وريثة الأصيل ، الذي يحب ملوكيتي ....

وكان البابليون يحتفلون كل عام بعيد رأس السنة الجديدة ويسمونها أكيتو وكانت تمارس الطقوس الدينية المتعددة، وتبدأ الاحتفالات في الأول من نيسان وتستمر لمدة أحد عشر يوماً ، وفيها يفترض إن الإله مردوخ يكون محتجزاً في العالم السفلي وتقام مراسيم الصلوات وتنشر التراتيل في معبد إيساكيلا من قبل الكهنة وتتلى قصيدة إينما إيلش (قصة الخليقة البابلية) وترش المياه المطهرة وتدق الطبول وتلاوة الأدعية وحرق البخور ، وينحر خروف تمسح به جدران المعبد ويرمى في النهر آخذاً معه آثام السنة القديمة ومن ثم يتوجه الملك

البابلي إلى بورسيبا كي يستدعي الإله نبو الذي يتوجب عليه فك أسر أبيه مردوخ من سجن العالم السفلي ويعود مصطحباً تمثال الإله بنو إلى إيساكيلا ، والحقيقة تعد مشاركة الملوك البابليين في هذه المناسبات الدينية الشعبية لتدعيم سلطانهم الذي تباركه وتحميه الآلهة وتمنح الملك السلطات غير المحدودة . وإن تتويج الملك يجدد كل عام في اليوم الخامس من الاحتفال ، وتمارس في هذه المناسبة مراسيم وطقوس متعددة باعتبار إن هذه المناسبة مقدسة للاحتفالات والابتهاج ومنها الزواج المقدس الذي يكون الطرف الأول فيه الملك ، إن مكانة الإله نابو قد زادت في وقت متأخر وخاصة في وقت نبو خذ نصر مع توسع مملكته الذي اعتنى كثيراً بهذا المعبد وطوره ، وكان البابليون يأتون بزيارات أشبه بالحج إلى هذا المكان المقدس الذي يحتوي على فضاءات متعددة تشمل غرفة القداس والمكتبة وسكن الكهنة فضلاً عن الفضاءات الرئيسة قائمة لغاية يومنا هذا على شكل أسس طينية مدمرة حيث يحتوي على ثلاث بوابات رئيسية الأولى تستخدم للدخول والثانية للخروج والثالثة للصعود إلى أعلى التل الزقورة وكانت تقدم الذبائح وتمسح الجدران بها وتمارس بقية الطقوس ، وكانت غرفة القداس لها أهمية معينة في المعبد وقد عثر فيها على تمثال فخاري قديم يحمل عصا يرجع تاريخه إلى ٢٥٠٠ سنة وقد غيرّت كثيراً من المعتقدات والآراء حول من أنشأ هذا المعبد أو تاريخ هذا المكان برمته وإذا ما قورن مع مسيرة النبي إبراهيم (ع) الذي يعتقد أنه عاش هنا بين ١٦٠٠ – ١٧٥٠ قبل الميلاد في حين الدولة البابلية حوالي ٦٠٠ سنة قبل الميلاد حيث تشير اختلاف هذه

التواريخ إلى قدم المكان ومن غير المستبعد إن الاكتشافات اللاحقة في علم الآثار إذا ما استقر الوضع الأمني والسياسي في هذا البلد قد تغير كثيراً من المفاهيم والمعتقدات حول هذا المكان الذي يعاني الإهمال الفاضح بل حتى إن كثيراً من العراقيين وتحديداً أهل الحلة لا يعرفون شيئاً عن هذا المكان أو تاريخه ، ومن الجدير بالذكر إن مواد البناء في مدينة بابل كانت تبنى بالأجر الطيني الرخيص وفي مراحل من تطور الحضارة في هذه الأمكنة التاريخية أستخدم الأجر الطيني المفخور رغم ارتفاع سعر الوقود ولكن المدن المجاورة لهذه الآثار المتبقية على مر تدهور الأوضاع السياسية وتبدل الحكومات المتتالية ونتيجة الغزوات المستمرة لبابل ولفترات زمنية طويلة استمرت أعمال النهب والسرقة لكل الأجر المفخور والآثار وبنيت الحلة القديمة وغيرها من المدن الصغيرة المجاورة بالمواد المنهوبة وذلك لضعف حال الطبقات الاجتماعية المتعددة نتيجة تدهور الظروف على مر الأزمنة ولفترات طويلة ولغاية يومنا هذا مما أضاع كثيراً من الآثار وهدم كثيراً من الأبنية وأضاع ثروة لا تقدر بثمن .

إضافة إلى ما تقدم فقد عانت هذه الأبنية والمعابد القديمة من الخراب أثر الحروب والغزوات والحصارات السائدة آنذاك ومنها الصراع بين الآشوريين والعيلاميين والصراع بين آشور بانيبال وأخيه الأكبر شمس – شوم – أوكن ، ونقلت منها أنفس وأروع الرقم والألواح الطينية ذات الأهمية البالغة والتي ضمت مصنفات عن التاريخ والرسائل الخاصة بالحكم والصلوات والطقوس الدينية السائدة والأساطير والقصص

والشعر والقانون والجغرافيا والفلك والتنجيم والسحر وكذلك الصرف والنحو وسيرة الملوك وقد ورد في رسالة من أحد الملوك إلى شخص يدعى سادونو تتضمن ما يلي :(كلمة الملك إلى سادونو أحوالي جيدة وأرجو أن تكون بخير فعندما تتسلم هذه الرسالة خذ معك هؤلاء الأشخاص الثلاثة وأسمائهم مذكورة وكذلك الأشخاص المتضلعين في مدينة بورسيبا ثم أبحث عن جميع الرقم ولا سيما تلك الموجودة في بيوتهم ، وجميع تلك التي أودعت في معبد أزيدا وأجمعوا لي الألواح الثمينة ، التي هي موجودة في خزانات كتبكم ، والتي لا توجد في بلاد آشور وأرسلوها لي . ولقد كتبت إلى المواطنين والمراقبين ، وسوف لن يمتنع أي شخص من إعطائكم أي لوح تريدونه ، وعندما يقع نظرك على لوح أو مدونة أخرى ، كتب عليها نص طقوسي مما لم يسبق أن كتبت لك عنه ، وتعتقد أنه مفيد ، ليكون في قصري ، أبحث عنه ، التقطه وابعثه لي) .

ورد في رسالة أخرى من أحد الكتبة معنونة إلى الملك آشور بانيبال يقول فيها الكاتب :

سنسير على تعليماتكم الموجهة إلينا ، بخصوص جمع الرقم المدونة باللغة السومرية

ورسالة صادرة من أحد الملوك إلى أحد الموظفين يقول فيها :

(اجلب الرقيم الذي فيه تعليمات رسمية من ملك بابل الى مدينة بورسيبا ،) وعلى ما مرت به هذه المعابد من التدمير خذ مثلاً في عام ٦٨٩ ق . م قرر سنحاريب تدمير بابل والقضاء على الاضطرابات ، فدخل سنحاريب مدينة بابل التي حاصرها طوال تسعة أشهر ثم

استسلمت أخيراً بسبب تفشي الأمراض وحلول المجاعة فيها ، فدخل الجيش الآشوري المدينة ودمرها بعد أن نهب قصورها ومعابدها ، ثم سلطت مياه الفرات لإغراقها كلياً ، وهذا أعنف تدمير لبابل خلال تاريخها .

وكذلك حملة آشور بانيبال ضد تمرد أخيه الأكبر شمس . شوم . أوكن حيث يصف الأول حملته : ٦٤٨ – ٦٥٠ ق . م .

(في هذا الوقت كان حظ سكان أكد سيئاً مع شمس . شوم . أوكن عندما تآمروا بالشر معه ، إذ تفشت المجاعة حتى أكلوا أبناءهم وبناتهم ولم يشبعوا ، قضموا بقايا الجلود المدبوغة ، الآلهة العظيمة التي رافقتني ، قتلت خصومي ورمت شمس . شوم . أوكن عدوي في لهيب النيران محطمة حياته ، وإن السكان الذين ساندوا خطط شمس . شوم . أوكن أخي (الخائن) وعملوا الشر معه خافوا من الموت ولم يرموا أنفسهم معه في النار .

غير إن جميع الملوك والحكام قاموا بترميم أو إعادة بناء المعابد التي تساند قوة الملك .

ومعبد نابو في بورسيبا قام بترميمه شمس . شوم . أوكن وآشور بانيبال ونبو بلاصر ونبو خذ نصر وغيرهم من الملوك الذين حكموا بابل ، وللمعبد أراضي ومحاصيل وموارد ويحتوي على سجلات وعقود والمكتبة كانت مرتبة بشكل رفوف مطلية بالقير لمنع وصول الرطوبة إلى الرقم والألواح وكانت مواد البناء الأخرى تجلب من بلدان أخرى مثل خشب الأرز من لبنان وغيرها .

المصادر :

١- د . فاضل عبد الواحد سومر أسطورة وملحمة / دار الشؤون الثقافية ٢٠٠٠

٢- الحسيني نصير علي / برج بورسيبا / مجلة الجندول / السنة الثالثة ٢٠٠٥ / العدد ١٩- ٢٠

٣- نيكولاس بوستغين / حضارة العراق وآثاره ، ترجمة سمير الجلبي / دار المأمون
١٩٩١

٤- جورج رو - العراق القديم ، ترجمة حسين علوان

٥- محمود شكر الجبوري . آفاق عربية ٢٠٠١ الكتابات الأولى

٦- د. فاضل عبد الواحد . من سومر إلى التوراة .

٧- فرتيز عجائب الدنيا في عمارة بابل ، تعريب د. صبحي أنور رشيد .

٨- روبرت كولد فاي – معابد بابل و بورسيبا – ترجمة د. نوال خورشيد ، وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٥ – المؤسسة العامة للآثار .

٩- طه باقر – معابد العراق القديمة .

١٠- د. رياض عبد الرحمن – آشور بانيبال / دار الشؤون الثقافية ٢٠٠١

١١- شريف يوسف – تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور / دار الرشيد - ١٩٨٢ .

برج بابل

لم ينته الجدل حول برج بابل ، رغم كثرة التحريات والتنقيب الذي تم من قبل كثير من المنقبين والمؤرخين والباحثين والكتاب فمنهم الألمان والانكليز والروس والأمريكان وجمع غفير من الأوربيين ، حيث في فترة من الفترات ساورهم الشك على إن بورسيبا هو برج بابل وبعد فترة من التنقيب اكتشفوا آثاراً لبرج بابل الذي يقع في مدينة بابل الأثرية ومع بعض الدلائل والشكوك هنالك من أحتفظ برأيه ومنهم من ترك الموضوع والآخر أصطف في الصوب الآخر وبقي الموضوع بين عائم أو راسي على بحر كبير من المجهول وفي رأينا إن السبب الرئيسي في ذلك هو إن العراق تعرض لأكثر من مرة إلى فيضان مدمر يأكل الأخضر واليابس وهنا اليابس حجارة طينية وليست حجرية فمن الصعوبة ترك معالم أثرية واضحة حيث إن البناء في بابل تركز على الطين والقير أضف إلى ذلك إن مدناً بنيت فوق مدن وإذا ما علمنا إن أرض العراق ترتفع من الشمال إلى الجنوب حوالي ٧٠٠ م مما يجرف الكثير من الآثار التي تركزت في وسط العراق وإذا ما علمنا إن حتى نهر الفرات تغير مجراه وهو كان يمر بمحاذاة مدينة بابل فيجرف جهة ويفتح أخرى فضلاً عن كثرة الحروب التي رافقها احتلالات ونهب لثروات العراق وآثاره إضافة إلى التدمير المحلي حيث كان البابليون يضعون تحت أسس الأماكن المقدسة الذهب والفضة والأحجار الكريمة التي يأتون بها من أعالي الجبال ومن أعماق البحار تكريماً للمكان المقدس وهذا ما جعل هذه الأماكن أثناء الحروب وسقوط المدن معرضة لليد العابثة

وللنهب والسرقة ومن هنا أصاب الأماكن الأثرية الكثير من الضرر واليد العابثة بين أجنبية لنقل الآثار خارج العراق والتجارة فيها ومحلية نتيجة لضعف حال الطبقات الاجتماعية الواسعة مما جعل كثيراً من الأحياء القديمة في المدن المجاورة للمدن الأثرية تشيد من أنقاض المدن الآثارية التي تحولت إلى خرائب مهجورة مما يجعل التنقيب والاستدلال من الصعوبة البالغة إضافة إلى مرور فترة زمنية طويلة على ذلك .

ويجب عدم إغفال فضل المنقبين الأجانب عن الكشف عن كثير من الآثار التي لا زال قسم كبير منها تحت التراب .

ورد في التوراة الإصحاح العاشر / سفر التكوين ١٠،١١) (وكانت الأرض كلها لساناً واحداً ولغة واحدة وحدث في ارتحالهم شرقاً أنهم وجدوا بقعة في أرض شنعار وسكنوا هناك وقال بعضهم لبعض هلم نضع لبناً ونشويه شيا . فكان لهم اللبن مكان الحجر وكان لهما الحجر مكان الطين وقالوا هلم نبن لأنفسنا مدينة وبرجاً رأسه بالسماء . ونضع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه الأرض . فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كانوا بنو آدم يبنوهما . وقال الرب هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم وهذا ابتداؤهم بالعمل . والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه . هلم فنزل وتبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة لذلك دعي اسمها بابل ، لان الرب هناك بلبل لسان كل الارض . ومن هناك شتتهم الرب على وجه كل الأرض) .

في حين ورد في كثير من المصادر التاريخية والأدبية إن اسم

بابل يعني باب الآلهة وليس كما زعمت التوراة وحين تعود إلى الألواح المكتشفة حول قصة الخليقة البابلية (١٨٠٠ق.م) عندما في العلا (اينما إيلش) إن الآلهة أقامت حفلاً كبيراً نصبت فيه مردوخ إلهاً رئيساً لها وأمرت بناء معبد له في بابل (إيساكيلا) معبد الإله مردوخ . لا بل مكانة الإله مردوخ قد تعاظمت في بابل حوالي ٢٠٠٠ق.م وأصبحت بابل مركزاً رئيسياً ودينياً مهماً ، وتشير تلك القصة إلى أن الإله مردوخ هو الذي خلق الأرض والسماء ووزع المسؤوليات على الآلهة وإليك جزءاً من هذه الأسطورة :

بعد أن سمع الإله مردوخ كلمات الآلهة
تحرق قلبه من أجل أن يخلق الكمال
وعندها أخبر أيا (أنكي) بقراره ،
وشرح له خطة العمل التي رسمها في ذهنه
أريد أن يحضر لي الدم والعظام
أريد أن أخلق – لو للو – الذي سيكون أسمه
الإنسان
أريد أن أخلق الإنسان
لآني أريد أن ألقي عليه عناء الآلهة حتى تنعم هي بالراحة ،
أريد أن أجعل طريق الآلهة محاطاً بالإبداع
وأريدها أن تبجل جميعاً وبشرط أن تقسم إلى قسمين
فأجابه الإله أيا (أنكي) ، وأثناء الإجابة ،

عرض على الإله مردوخ خطة إسعاد الآلهة ،
وقال لمردوخ أيضاً يجب إحضار أحد أخوانك ،
لنذبحه ونصنع منه البشر ،
وليت الآلهة العظام تتجمع الآن .
ويجلب الإله صاحب الآثام ، وتعترف عليه الآلهة ..
جمع مردوخ الآلهة العظام ،
وبينما كانت الآلهة تستمع لكلامه ،
قال الإله مردوخ ، الملك مخاطباً آلهة الانو ناكي :
فإن كنتم آلهة الانو ناكي حقاً
فسوف أضعكم الآن تحت القسم وأطلب منكم الحقيقة
من منكم تسبب في نشوب الحرب ؟
تيامات أثارتها ونظمت الثورة .....
عليكم إحضار الذي تسبب في نشوب الحرب ،
لأنني أريد أن أحمله وزرها لتعيشوا أنتم بهدوء
آلهة الانو ناكي ، الآلهة العظيمة ردت ،
على مستشارها وعلى سيدها ،
((كنكو)) هو الذي تسبب في نشوب الحرب ،
وتيامات قد أثارتها ونظمت الثورة
فربطوا كنكو وجاءوا به إلى الإله أيا (أنكي)
وحملوه وزر جريمته وسفكوا دمه ،
ومن دمه خلق الإله أيا (أنكي) البشر ،

وحمله (أي حمل الإنسان) عناء الآلهة وتحررت هي من العمل
إن خلق الحكيم ، الإله أيا البشر
حملهم عناء عمل الآلهة ....
وعندما قسم الإله مردوخ ، ملك الآلهة ،
آلهة الانو ناكي إلى قسمين علوي وسفلي ،
وضع ٣٠٠ في السماء لحراس لها ،
ثم ثبت طرق الأرض ،
وترك ٦٠٠ إله يسكنون في السماء والأرض
وبعد أن قدم لهم نصائحه
فتحت آلهة الانو ناكي فاها
وقالت مخاطبة الإله مردوخ سيدها
إله الغمد سيدنا قد حررته من عناء العمل
كيف يمكننا أن نعبر عن شكرنا

ما أريد قوله هنا إن هذا التصور الأدبي في هذه القصيدة يوحي إلى إن مدينة بابل هي باب الآلهة وتكريمها لمردوخ في بناء معبد إيساكيلا في بابل دليلاً على قدسية المكان عند هذه الآلهة .

والجدير بالذكر إن هنالك ثلاثة آلهة مهمة عند السومريين سبقت هذا هي آن – شخصية السماء الجبارة / وله معبد رئيسي في مدينة أوروك ، أنليل – سيد الهواء / وله معبد رئيسي في نفر ، أنكي – سيد الأرض /إله المياه العذبة / وله معبد رئيسي في أريدو .

وكان الإله أنكي هو سيد الآلهة في القسم الجنوبي حسب الأساطير القديمة مثل أسطورة ((إله الشعير – اشنان – والنعجة)) وإليك جزءاً منها :

((على جبل السماء والأرض ،
قد ولدت آلهة الانو ناكي العظام ،
لأن اشنان إله الشعير لم يولد بعد ولم ينبت بعد ،
وإن الإله (أوت – تو) لم يخلق الخيط في البلاد بعد ،
وإن الإله (أوت – نو) لم يحفر الحفرة بعد ،
ولم تخلق النعجة بعد ولم تتكاثر الحملان ،
ولم تخلق العنزة بعد ولم تتكاثر صغارها ،
ولم تعد النعجة توأماً بعد ،
ولم تعد العنزة ثلاثة توائم بعد ،
لأن آلهة الانو ناكي العظام واشنان المليء بالطهارة لم يعرفوا النعجة بعد ،
ولأن شعير(شيكوشو) ذا الثلاثين يوماً لم يعرف بعد ،
ولأن الشعير (شيكو شو) ذا الأربعين يوماً لم يعرف بعد ،
ولأن شعير (شيكو شو) ذا الخمسين يوماً لم يعرف بعد ،
ولأن الشعير الصغير ، شعير المنطقة الجبلية وشعير (آدم – كو) لم يعرف بعد ،
الملابس التي يرتديها المرء لم تعرف بعد

والإله (أوتو) لم يك قد ولد بعد ولم يلبس تاجه بعد،
والإله (سموقان) لم يذهب إلى البلاد الجافة بعد ،
البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد ،
ولم يعرفوا ارتداء الملابس بعد
وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم
وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش ،
ومن القنوات يشربون الماء .
آنذاك في المكان الذي كانت فيه الآلهة .
في معبدهم (التل المقدس) قدرت الآلهة ظهور النعجة والشعير .
في المعبد ، المكان الذي تأكل فيه الآلهة الخبز ،
تجمعوا على إنتاج النعجة والشعير
وأكل آلهة الانو ناكي ، آلهة التل المقدس ،
ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الشبع .
المشروب اللذيذ ، إنتاج حظيرة الأغنام ،
شربته آلهة الانو ناكي ، آلهة التل المقدس ،
ولكنهم لم يبلغوا مرحلة الارتواء .
في حظيرة الأغنام الطاهرة تركوا ما يسعدهم ،
تركوا البشرية روح حياتهم .
آنذاك تكلم الإله أنكي إلى الإله أنليل .
أيها الأب أنليل : إن النعجة والشعير ،
التي نمت في التل المقدس ،

نتمنى نقلها من التل المقدس إلى الأرض ،
وبناء على طلب الإله أنكي واستجابة الإله أنليل له ،
فقد انتقلت النعجة والشعير من التل المقدس إلى الأرض).

وكل هذه الفترات سبقت ظهور الديانة اليهودية لفترات زمنية طويلة الأمد وكانت تعبر عن تصور البابليين وقبلهم السومريين عن نشأة الكون وأصل الوجود وتشير إلى التل المقدس ومن الجدير بالذكر إن موسى (ع) كان يذهب إلى جبل حوريب (حربة) والنبي إبراهيم (ع) في صراعه مع النمرود كانت في تل بورسيبا والنبي محمد (ص) إلى جبل (حيره) ، وأعتقد إن الفكرة الأساسية في مفهوم التل أو البرج هو القرب من السماء .

جاءت جميع القصص والأساطير السومرية البابلية قبل السبي البابلي الأول على يد سرجون الأكدي عام ٧٢٢ ق.م والسبي الثاني على يد نبوخذ نصر ٦٠٥ ق . م وإن التوراة كتب أصلاً في بابل وخلال كل الفترات الزمنية الماضية كانت منطقة وادي الرافدين مرة تبدو قوية حسب الحاكم وتقوم بالغزو بل ومن لم تحتل تدفع الجزية للحاكم مثلما حدث لإورشليم ومرة حاكم ضعيف تتوالى على بابل الغزوات والحروب والاحتلالات التي ضيعت كثيراً من آثار العراق ودمرت بابل إضافة إلى الصراع بين الأخوة على تقاسم سدة الحكم كما حدث مع آشور بانيبال وأخيه ومحاصرته لبابل ومن الجدير بالذكر إن مدينة بابل كانت حوالي ١٠ أميال أي ما يعادل مساحة لبنان وكانت فيها الزقورات والأبراج

والمعابد المتعددة لمختلف الآلهة وحسب أهميتها وأنواع متعددة من الكهنة وهذا يعني إن بورسيبا تقع أصلاً ضمن المساحة العامة للمدينة حتى إن مراسيم الاحتفالات الوطنية والحجيج وخاصة احتفالات رأس السنة البابلية أكيتو والذي تجري فيها مراسيم فك أسر الملك البابلي بين بابل وبورسيبا مروراً بشارع الموكب وصولاً إلى معبد الإله نابو الملاصق لبرج بورسيبا ليزيل عنه آثام السنة الماضية التي تبدأ في الأول من نيسان وتستمر لمدة أحد عشر يوماً تخصص الثمانية الأولى للتكفير حيث بفترض إن الإله مردوخ محتجزاً في العالم السفلي وفي الأيام الأربعة الأولى يقدم الكهنة في معبد إيساكيلا بتلاوة التراتيل وإقامة الصلوات وفي اليوم الرابع تتلى قصيدة اينما ايلش قصة الخليقة وبعد اليوم الخامس للتطهير حيث يقوم الكاهن المشماشو برش الماء المطهر في أركان المعبد وتلاوة الأدعية وإشعال البخور ودق الطبول ونحر خروف تمسح به جدران المعبد ويرمى الرأس والجسم في نهر الفرات حيث إن هذا الكبش يأخذ معه آثام السنة الماضية . وفي اليوم الرابع يتوجه الملك إلى بورسيبا كي يستدعي الإله نابو الذي يتوجب عليه فك أسر أبيه مردوخ من سجن العالم السفلي ويعود مصطحباً تمثال نبو إلى معبد إيساكيلا بعد يوم ويسلم الملك التمثال وشارة الملوكية والصولجان والحلقة والسيف إلى الكاهن الاور يكالو الذي يضعها أمام الإله مردوخ ثم يلطم الملك على خده ويجره من أذنيه ويركع على الأرض وعلى الملك ترديد ما يلي :

لم أذنب يا سيد البلدان ولم أغفل ربوبيتك
لم أضرب بابل ولم أسبب لها الهوان .. ولم أنس مناسك
معبد إيساكيلا كلما أوسع باللطمات خدي أي من عبادك ..
ولم أهنهم . لقد حرصت على بابل ولم أقوض جدرانها ...

ويقوم بعدها الكاهن بطمأنة الملك قائلاً :

((لا تخف ... سيستجيب الإله بعل لصلواتك .. وسيعظم سلطانك ... ويعلي ملوكيتك .. وسيبارك الإله بعل إلى الأبد ويحطم أعداءك ويسقط مناوئيك .

ثم يعيد الكاهن لطم خد الملك ، فإن سالت دموعه ..(فهذا يعني إن) الإله بعل راضٍ وإن لم تظهر الدموع فتلك دلالة على إن الإله بعل غاضب وإن العدو سينقض ويسبب سقوطه . وهكذا كان الملك يدعم سلطانه بتفويض الإله له عبر هذه المراسيم السنوية المهينة .

ولاحقاً انتقلت طقوس الإله مردوخ إلى آشور نفسها وأصبح منافساً قوياً له أعطيت لمردوخ عدة تسميات في النصوص القديمة منها إله الحكمة وإله طرد الأرواح الشريرة وشافي الأمراض وسيد القنوات والحقول والإله الحاكم والجانب المضيء وقد منح مردوخ جميع الألقاب وسُيّد على الآلهة بانتصاره في الحرب على تيامات في ملحمة الخليقة فضلاً عن وجود معبد الإله نابو إله الكتابة والقلم والمعرفة والذي يعد خليفة الإله مردوخ وتتزايد أهميته في إقامة معابد له في مدن مختلفة أخرى عديدة .

وحسب الأساطير فإن الإله أيا وزوجته دامكينا

ولدا مردوخ الذي امتلك صفات فذة منها :

تامة كانت أعضاءه بدرجة لا تصدق ...
كان غير ممكن الفهم ومتعذراً على الأدراك
أربع كانت عيونه وأربعة كانت آذانه
وحالما تنفرج شفاهه ، تنبعث ألسنة اللهيب
كبيرة كانت أعضاء سمعه الأربعة
وعيونه ، مثلما في العدد ، ترك كل شيء
كان أكثر الآلهة شموخاً ، خارق القوام
أعضاؤه كانت عديدة ، وكان عملاقاً

ومن الآلهة السومرية إله القمر ، يقرأ المستقبل المجهول ويعرف مصائر الجميع ، وكان إله الشمس يفضح الأشرار ويكشف العدول عندما يفيض ضياءه القوي على الأرض ، كذلك الإله ننورتا إله الحرب

ونن – خورساك آلهة الأم

وأي – أنا آلهة الحب والإنجاب المعروفة باسمها السامي عشتار وبعلها دموزي

هذا التنوع في العبادات في مجمل الأساطير والأعمال الأدبية السومرية والبابلية يعطينا فكرة واضحة عن كون السومريين والبابليين كانوا يبحثون عن أصل الخلق وأساس الحياة ويعرفون السماء هي التي تحتفظ بهذا السر ولهذا كانت فكرة برج بابل والأبراج والزقورات .

لم يكن المعبد مجرد معبد لممارسة المهام الدينية والاحتفالات لا بل كانت السلطة الدينية هي سلطة سياسية وإدارية وتحكيمية وهي التي تمنح المباركة للملك والتأييد من قبل الآلهة للملوك وكان الملوك يسعون

وراء السلطة الدينية بمختلف الوسائل لاسترضائها ويعتمد ذلك على قوة ودهاء الملك .

وكان للمعبد مهام متعددة إضافة إلى تعلم الكتابة وقراءة الفال وتعلم الرياضيات والأدب والموسيقى والفلك والطب والقانون والهندسة إضافة إلى خزن المحاصيل ومهام إدارية متعددة .

وعادة كانت هذه المعابد ترافق الأبراج بل حتى تجاورها مثل معبد نابو في بورسيبا نجده ملاصقاً للتل وهو عبارة عن مدرسة متكاملة وهذا يعني إن السلطة السياسية بدأية ولعهود أكثر من ٢٠٠٠سنة قبل الميلاد كانت تتحكم بها السلطة الدينية وللمعبد دور مهم في السيطرة على النخبة السلطوية أي بمعنى إن برج بابل لأهميته التاريخية المهمة لا يمكن أن يكون وفق هذا التصور فقد كان مجرد زقورة أو برج بني كدليل عمراني ويزول بهذا الشكل السريع ويبقى بورسيبا قائماً ولغاية يومنا هذا.

وإذا ما عدنا إلى ما ذكر في التوراة والإنجيل نجد أننا أمام انتكاسة تاريخية في وصف مدينة بابل رغم إن كثيراً من الباحثين متفقين على إن التوراة كتب في بابل علماً انه كتب بعد السبي البابلي الثاني وسفر دانيال يوضح ذلك بصورة واضحة.

وما يؤكد ذلك إن هذه المدينة تعرضت لكثير من الأسى والتخريب وخاصة بعد آخر الملوك الأقوياء فيها نبوخذ نصر صاحب السبي البابلي لليهود كما ذكر في الإنجيل رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح السابع عشر وجاء فيه :

((ثم واحد من السبعة الملائكة الذين معهم السبعة الجامات

وتكلم معي قائلاً لي هلم فأريك دينونة الزانية العظيمة الجالسة على الحياة الكثيرة التي زنى بها ملوك الأرض وسكر سكان الأرض خمر زناها فمضى بي بالروح إلى برية فرأيت امرأة جالسة على وحشٍ قرمزي مملوء من أسماء تجديف له سبعة رؤوس وعشرة قرون . والمرأة كانت متسربلة بأرجوان وقرمز ومتحلية بذهب وحجارة كريمة ولؤلؤ ومعها كأس من ذهب في يدها مملوءة رجاسات ونجاسات زناها وعلى جبهتها أسم مكتوب سر بابل العظيمة أم الزواني ورجاسات الأرض . ورأيت المرأة سكرا من دم القديسين ومن دم شهداء يسوع نتعجب لما رأيتها تعجباً عظيماً)).

وبعد هذا الاستعراض يتخيل لي إن بابل لم تكن من بلبلت الألسن وإنما من كونها باب الآلهة والعبادات المختلفة التي ظهرت في جميع الأدبيات والتي تشير إلى أساطير الأولين التي كثر الجدال عليها أثناء الدعوة المحمدية والتي ذكرها القرآن الكريم خمس مرات في آيات محكمات .

غير إن ما يهمنا في ذكر التوراة هو القدم في الإشارة إلى بدء الحياة هذا يعني إنها الفكرة الدينية الأولى في تكوين البناء للوصول إلى السماء أي أول ما فكر فيه الإنسان بعد المعابد الأرضية الصغيرة لكثير من الآلهة التي توطد العلاقة وتحمي الحكام وتبارك وجودهم وكان تقديم القرابين أحد أهم المراسيم وكانت تمارس في مراكز المدن الرئيسية وخذ مثلاً ما كان يمارس في عيد رأس السنة البابلية أكيتو .

كتب عن برج بابل ومدينة بابل الأثرية كثير من المؤرخين ومنهم

هيرودوتس وسترابو وديودورس ومنهم من زارها لكن هنالك محباً انكليزياً للفنون أسمه ج س بكنغام زار خرائب بابل عام ١٩١٦ استطاع أن يورد حججاً قوية ليظهر إن البرج في برس نمرود هو برج بيلوس الذي وصفه الكتاب الكلاسيكيون وإن المدينة القديمة تمتد لأكثر من عشرة أميال وهذا ليس رأي بكنغهام بل كذلك رأي كلوديوس رتش الذي كان يعمل ممثل شركة الهند الشرقية المقيم في بغداد عام ١٨٠٧ وبقي في منصبه أكثر من تسع سنوات ويتقن مجموعة من اللغات ويتمتع بعلاقات محلية وهو من استضاف بكنغهام وله صلات قوية مع السلطات المحلية ومهتم بالآثار والمخطوطات .

يقول مؤسس السلالة البابلية الجديدة (نابو بلاسر) ٦٢٥ – ٦٠٥ ق .م عن البرج الذي رسمه في مدينة بابل (أمرني الرب مردوك بشأن ايتيمناكي برج بابل المدرج الذي كان قبل زماني قد أصابه البلى والخراب أن أوطد أسمه في حضن العالم الأسفل وأجعل قمته كالسماء .

يقول الملك نابو بلاسر :

(أمرت بصنع الأجر ، وكما الأمطار في الأعالي لا تقاسي أو التيارات الدافقة جعلت أنهراً من القير يؤتى بها بقناة أراهتو .. أخذت قصبة وبنفسي قست الأبعاد .... الأبعاد التي ستعطي البرج .... اتبعت نصائح الآلهة شمس واداد ومردوك ، فاتخذت قرارات وحفظتها في قلبي وحفظت قياسات البرج في ذاكرتي ، الكنز ، وضعت في الأسس) وزمرد تحت الأجر ذهباً وفضة وأحجاراً كريمة من الجبال ومن البحر وجعلته في الأسس ، ولربي مردوك أحنيت رقبتي وخلعت ردائي شارة دمي

الملكي ، وعلى رأسي حملت الأجر والتراب ، أما أبني البكر نبوخذ نصر حبيب قلبي فجعلته يحمل الطين ومقدمات الخمر والزيت برفقة أبناء رعيتي .

ولم يقتصر الاهتمام بهذا البرج الحديث من قبل نبو بلاسر بل توارثه أبنه الملك البابلي نبوخذ نصر (٦٠٤ – ٥٦٢) ق . م الذي عظمت بابل في وقته وبسط سيطرته على مناطق واسعة وصلت إلى أورشليم حيث يقول في أحدى المدونات .

كل الشعوب من أمم عديدة أجبرتها على العمل في تشييد

(ايتمناكي ... وأقمت المسكن العالي لربي مردوك في قمته) . يقول نيكولاس بوستغيت في كتابه حضارة العراق وآثاره :

(وعلق على برجين بخاصة ، أحدهما زقورة عقرقوف القريبة من بغداد وتميزت بارتفاعها وإن تميز البرج الآخر وسمي بيرس نمرود أيضاً بوجود كتلة غير عادية من الآجر المزجج حول أسفل البرج وكأن شاهداً على استعمال حرارة هائلة القوة يصعب تفسيرها إلى اليوم .

ولا عجب إن هذا البرج الضخم يمثل البرج المماثل الذي ناشد إلحاق الانتقام الإلهي ودمرته نيران السماء وفق أحدى المأثورات العالمية أو بعبارة أخرى برج بابل).

ويستمر في القول : (كانت توجد أسباب مقنعة لارتكاب هذا الخطأ إذ باستثناء الكتاب المقدس نفسه لم تكن المصادر المتيسرة للباحثين في أوائل القرن التاسع عشر سوى إشارات في كتابات المؤرخين الإغريق مثل هيرودوتس وسترابو وديودورس سيكلولس . ورغم أنهم

يصفون بابل كل بطريقته فإن دقة أوصافهم المختلفة ولا سيما الأبعاد المنسوبة إلى العاصمة العظيمة أدت إلى عدد كبير من التفسيرات).

أما هيرودتس فقد زار بابل ٤٦٠ ق .م وقد أشار إلى زقورة وسط الهيكل المكرس لزيوس – بيلوس بين برج متين طوله ستاد واحد وعرضه ستاد واحد وعلى هذا البرج قام برج آخر وعلى هذا قام برج آخر وهكذا كانت المجموعة ثمانية أبراج بسلم لولبي يحيط بها من الخارج وفي حوالي منتصف الطريق الأعلى ثمة مقاعد يستطيع القاعدون الجلوس عليها للاستراحة ، وفي البرج الأعلى هناك هيكل عظيم وفي الهيكل سرير عظيم بديع الصنع والزينة وقربة مائدة من ذهب وليس هناك أي تمثال لمعبود لا يقضي الليل سوى امرأة من أهل تلك البلاد كلفها بذلك الإله بالذات وهذا ما أخبرني به الكلدانيون الذين هم كهنة ذلك الإله ويحتوي البرج على سلمين لسريرين أحدهما موضوع في الطابق العلوي وطريق الوصول إليه بواسطة سلم خلفي تستقبله زوجة الإله عند الارتقاء إلى المكان المقدس والسرير السموات .

ولم يكن فقط هيرودتس قد زار وأرخ في بابل بل هنالك رحالة وعلماء غربيون كثيرون جابوا العراق وأكثر هؤلاء العلماء اعتمدوا على النص التوراتي في البحث عن برج بابل ومنهم (بنيامين) الطليطلي في القرن الثاني عشر للميلاد وبعده (روولف) و(جون الدرير) و(بيتر ديلانالي) و(فيبورهر) والأب (جو ميف ودي بواشاس وكلوديوس) وبيكنغهام وبورز وآخرون وتم اكتشاف حوالي ٣٣ برجاً مقدساً وكانت أكثرها اهتماماً للباحثين والعلماء والمنقبين أربعة أبراج حتى حدا بهم

للشك على إن كل واحد من هذه الأبراج قد يكون برج بابل وهي :

- زقورة عقرقوف في مدينة دور – كور مكلزو
- وبيرس نمرود في بورسيبا الواقعة جنوب مدينة بابل
- وزقورة مدينة كيش تل الأحيمر شرقي بابل
- وزقورة مدينة أور غربي الناصرية

وفي القرن العشرين قدم المستشرق الألماني (أي – زاونجز) دراسة مفصلة عن الأبراج ولا سيما برج بابل حيث رأى هذا العالم إن الزقورات يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام :

١– البرج المستطيل – مثل برج أور وبرج أوروك وبرج نيبور

٢– البرج المربع – مثل برج آشور ، كالح ، دور – شاروكين (خورسباد)

٣– البرج المندمج مثل برج بابل

لم يتوقف التنقيب عند هؤلاء بل كانت البعثة الألمانية ومنهم روبرت كولدفاني نقب في بورسيبا وكتب كتاباً عن معابد بابل وبورسيبا وكذلك الانكليز ومنهم ج س بيكنغهام ، وكلوديوس وتش وبوتا واستن هنري لابارد في القرن العشرين .

الكل كان يبحث عن أثر لبرج بابل أو حسب ما عرف عند الكتاب الكلاسيكيين برج بيلوس .

أود أن أشير إلى أن مدينة بابل مرت بفترات عصيبة ومنها الفترات التالية :

١- الفترة الإخمينية (٥٣٩ – ٣٣١) ق . م

٢- الفترة الهيلينية (٣٣١ – ١٢٦) ق . م

٣- الفترة البارثية (١٢٦ – ٢٢٧) ق . م

وكانت كتابات المؤرخين الآخرين مثل (آريان) و(ستيسيان) و(سترابو) تنص على إن أسوار المدينة قد جردت وإن المعابد قد سويت مع الأرض بل وسرقت وخاصة وإنها كانت تضم تمثالاً كبيراً للإله مردوخ مصنوع من الذهب مثلما حدث لايساكيلا والمعابد الأخرى ويشير كونتينو إن الأضرار التي لحقت بمعبد إيساكيلا كانت شديدة لدرجة إنها أجبرت الأسكندر المقدوني ٣٣١ ق .م الإعلان عن رغبته في إعادة بنائه .

وخلال هذه الفترات مرت المدينة بحروب طاحنة وصراعات للسيطرة عليها حتى أمست مجموعة من الخرائب بعد بدأية القرن السابع للميلاد أي قبل الفتح الإسلامي بوقت قصير .

إن هذا الخراب المتكرر على مدينة بابل التي كانت مركزاً كونياً على ما يبدو أثارت الطمع والرغبة عند كل الطغاة والغزاة للسيطرة عليها حتى إننا نجد ذلك في جميع الأساطير وخاصة الخليقة البابلية وأنظر إلى ما جاء في هذه الأسطورة أيضاً :

وأقاموا له عرشاً فاخراً

فتصدر المجلس قبالة آبائه الآلهة

وعندئذ بايعوه قائلين : أنت الأعظم إجلالاً بين الآلهة

فقرارك لا يدانيه وأمرك هو أمر السماء

ومنذ هذا اليوم ستكون كلمتك ثابتة لا تتغير

فمن شئت أن ترفع أو تخفض فأمره منوط بيديك
أجل : ستكون كلمتك هي الصحيحة وسيكون قرارك معصوماً من الخطأ
ولن يتخط حدودك أي من الآلهة
يا مردوخ أنت بالحق من يثأر لنا
ها نحن نبايعك على ملوكية الكون بأجمعه
وعندما تأخذ مكانك في المجلس ستكون كلمتك هي العليا
وسوف لن تقهر أسلحتك بل إنها ستحطم أعداءك
يا سيدنا أنقذ حياة من وضع ثقته فيك
وعسى أن تزهق حياة كل إله اقترف المعصية

هذا التتويج هو في نفس الوقت استغاثة من الأمور الفاجعة التي تمر بها هذه المدينة إذا ما أضفنا إن الألواح المكتشفة لقصة الخليقة البابلية تعود إلى ١٨٠٠ ق .م فضلاً عن إن هنالك أربع قصص سومرية في نفس التاريخ متشابهة بل ونفس الاستغاثة في ملحمة جلجامش من قوة وجبروت جلجامش وطغيانه :

ودعوا (أورورو) العظيمة وقالوا لها :
يا (أورورو) أنت التي خلقت هذا الرجل
فأخلقي الآن غريماً له
حالما سمعت (أورورو) ذلك ، غسلت يديها
تصورت في لبها صورة لآنو
وغسلت (أورورو) يديها

يتعدى الأمر إلى قصص أخرى متشابهة مثل قصة النبي نوح (ع) أي قصة الطوفان وزيو سدار واتونا بشتم واتراخاسيس أقصد من هذا التشابه في القصص قد يعود إلى التشابه في قصة برج بابل أيضاً .

ومن الجدير بالذكر إن هناك فارقاً كبيراً بين البرجين يشير إلى اختلاف في الوظيفة فالبرج في بورسيبا لم يكن سكناً للإله أو معبداً وإنما الهدف الأساسي من تشييده هو الوصول إلى حقيقة السماء ولاستكشاف المصير أو الأصل علماً إن كثيراً من الدراسات والبحوث تشير إلى أن البابليين كانوا أصحاب خبرة في معرفة الكون وحركة الكواكب حتى أنهم يعرفون درب التبانة منذ القدم وكانت هذه العلوم متطورة جداً حتى في الرياضيات وعلم الفلك وسبق ذلك السحر والشعوذة وكانت لاحقاً بابل عاصمة مهمة على مراحل مختلفة هذا يؤشر إلى الفترة الأولى التي شيد فيها هذا التل تشير إلى مراحل بدأئية بدليل أنهم استعانوا على هذا المرتفع بمادة التراب ولارتفاع ٥٢م أي ما يعادل عمارة من ١٦ طابقاً دون أية مهارة في الصنعة وقد تكون سابقة للطوفان أي بطريقة بدأئية في حين ما شيد في بابل من برج يؤشر إلى مراحل متطورة في البناء ومهارة في الصنعة وفي صنع الأجر واستخراج القير إضافة إلى كون الوظيفة الأساسية هنا لهذا البرج للعبادة وانتظار قدوم الإله وقد تكون إشارة التل المقدس في أسطورة الشعير – اشتان إلى برج بورسيبا .

وفي بورسيبا توجد بعض الاكتشافات تشير إلى قدم هذا المكان الأول اكتشاف كبسولة أو محفظة على عمق ٥ر٢م في داخلها رجل من

الفخار يرجع تاريخه إلى ما قبل ٢٥٠٠ سنة إلا أنه أصابه التشويه هذه السنين ولم يبق من هذا التمثال الفخاري سوى عصاه الذهبية مع إشارة صغيرة فضية وبعض النحوت الزخرفية التي تمثل ثلاثة من الموسيقيين وكل هذه على ما يبدو كانت متدلية من الحزام وقد تهاوت جميعها فوق أكوام من الفخار الكائنة في هذه الكبسولة .

والثاني في هذا المكان عثر على كثرة من الأواني التي كانت تشاهد كل آنيتين موثوقتين الواحدة فوق الأخرى بحيث تشكلان مع بعضهما تجويفاً كما هو شأن التواليت الحوضية المزدوجة الكبيرة الحجم والمعروفة عند البابليين القدامى . وكذلك عثر على (الكودورو) وهي وثيقة خاصة تشير إلى نقل أو تسليف ملكية ما إلى شخص آخر كانت تستعمل في العصور البابلية .

وكذلك عثر على ثلاثة عشر لوحاً تعود إلى زمن نبوخذ نصر ومعظمها كتب باللغة البابلية القديمة عدا لوح واحد كتب باللغة البابلية الحديثة والغريب إن روبرت كولدفاني كتب في كتابه معابد بابل وبورسيبا ترجمة د . نوال خورشيد ، ملاحظتين تثير الاستغراب .

الأولى يقول فيها (ولإطلال بورسيبا مكانتها بالنسبة لإطلال برج بابل فهي كمدينة مستقلة تقع إلى جوار بابل كما هو شأن حصن شارلتون بالنسبة إلى برلين إن ((برج بابل)) لا يمكن أن يكون بطبيعة الحال إلا في بابل .

والثانية يقول فيها (والواقع إننا لم نعر منطقة المدينة اهتماماً كبيراً ، ذلك لأن أعمالنا التنقيبية كانت قصيرة وعابرة إذ إنها تتطلب في

الواقع عمليات تنقيب أكثر سعة وشمولاً .

الموضوع المهم إن هذا المكان توجد فيه منطقتان تعرضتا للصهر والحرق الأولى أعلى التل وهي ظاهرة لغاية يومنا هذا باقية والثانية أرض مجاورة للتل تسمى المحرقة وحسب الروايات الدينية فهي ما جرى من محاولة إحراق النبي إبراهيم (ع) ومن الغريب إن هذه المنطقة المجاورة للتل لا زالت لغاية يومنا هذا لا ينبت فيها أي نبات ولم يتطرق لها أي من الباحثين أو الآثاريين .

توالت على مدينة بابل حقب زمنية تعدد فيها الحكم وآخرها بعد وفاة نبوخذ نصر ٥٦٢ ق . م تولى الحكم أبنه أميل – مردوخ وكان ضعيفاً وقد أعطى اليهود حرية واسعة وخاصة في ممارسة طقوسهم الدينية في الوقت ذاته حدد سلطة رجال الدين البابليين الكهنة فثار عليه هؤلاء وعزلوه ونصبوه مكانه أحد أقاربه المدعو (سرجال شرواصر) وقد حكم أربع سنوات وخلفه أبنه وكان طفلاً وقد قتله رجال الدين وعينوا بدله (نابونيد) (٥٥٦ – ٥٣٩) ق.م وخلال حكمه عمر المعابد وفصل عبادة القمر (سين) عن عبادة الإله مردوخ ، وخلفه أبنه (ميل شاطر) وكان فاسداً لم يهتم بالطقوس الدينية ولا بأمور الدولة فساد الفساد وانحلت الدولة وسقطت بيد الفرس (الأخمينيين) .

نلاحظ من خلال هذا الاستعراض إن هناك صراعاً دائماً بين سلطتين السلطة الأولى هي سلطة ديانة بابل وسلطة الديانة اليهودية الجديدة والتي جاء بهم نبوخذ نصر إلى بابل ومن غير المستبعد أن تكون عملية إخفاء الآثار وأثر برج بابل الحقيقي متأتية من هذا الصراع وتبقى

موضوعة برج بابل من الأسرار التي يكتنفها الغموض والاختلاف في وجهات النظر

والله يعلم ما لا تعلمون

---

[٣٤] . تعني بورسيبا ـ دار الأدلة السبعة للسماء والأرض

[٣٥] . ورد ذكر إبراهيم في القرآن الكريم في الآيات : البقرة ـ مريم ـ الأنبياء ـ الصافات ـ آل عمران ـ الأنعام ـ إبراهيم ـ الحج ـ هود ـ النحل .

[٣٦] . تعني كلمة أي – أزيدا – البيت الثابت .

[٣٧] . يوجد معبد الإله نابو في نينوى – بابل شخاري – كيش ونفّر وغيرها من المدن

المصادر :

١- حضارة العراق – بغداد ١٩٨٥ مجموعة من المؤلفين العراقيين بعدة أجزاء

٢- حضارة العراق وآثاره – نيكولاس بوستغيث / ترجمة سمير عبد الرحيم الجلبي ١٩٩١ دار المأمون للترجمة والنشر.

٣- موسى وأساطير الشرق – المعموري – ناجح ٢٠٠١ الأهلية للتوزيع والنشر ، الأردن .

٤- معابد بابل وبورسيبا – كولد يفاي – روبرت ١٩٨٥ المؤسسة العامة للآثار والتراث ، ترجمة د . نوال خورشيد

٥- تاريخ فن العمارة العراقية في مختلف العصور / يوسف – شريف ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨٢ .

٦- العراق القديم رو – جورج ، ترجمة حسين علوان ، دار الحرية للنشر والتوزيع ١٩٨٤ .

٧- الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم / الجوراني – وداد ١٩٩٨ دار الشؤون الثقافية العامة بغداد

٨- برج بورسيبا الحسيني – نصير .

ملحق الصور

آثار بورسيبا صورة رقم ١

آثار بورسيبا صورة رقم ٢

آثار بورسيبا صورة رقم ٣

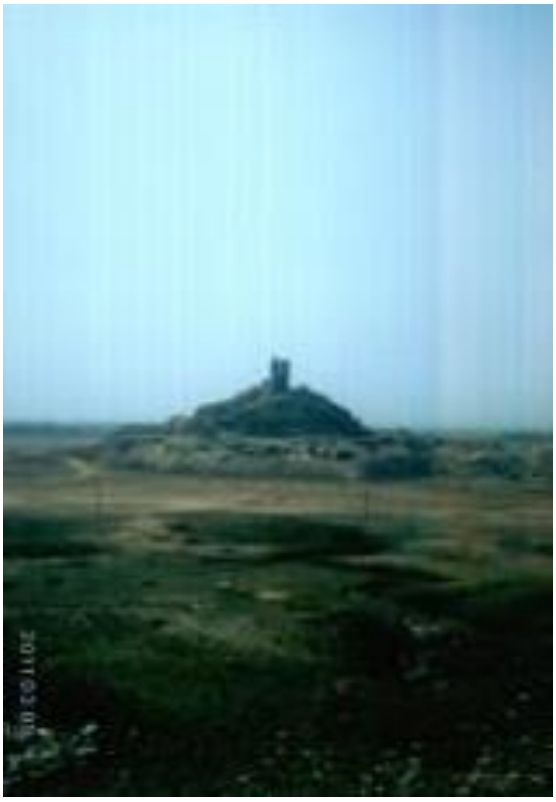

آثار بورسيبا صورة رقم ٤

اعلى التل في برج بورسيبا صورة رقم ٥

آثار بورسيبا فوق التل صورة رقم ٦

بقايا معبد نابو في برس

منطقة الطاق

منطقة المهدية

منطقة كريطعه

منطقة المهدية

خارطة لواء الحلة

مشهد الشمس

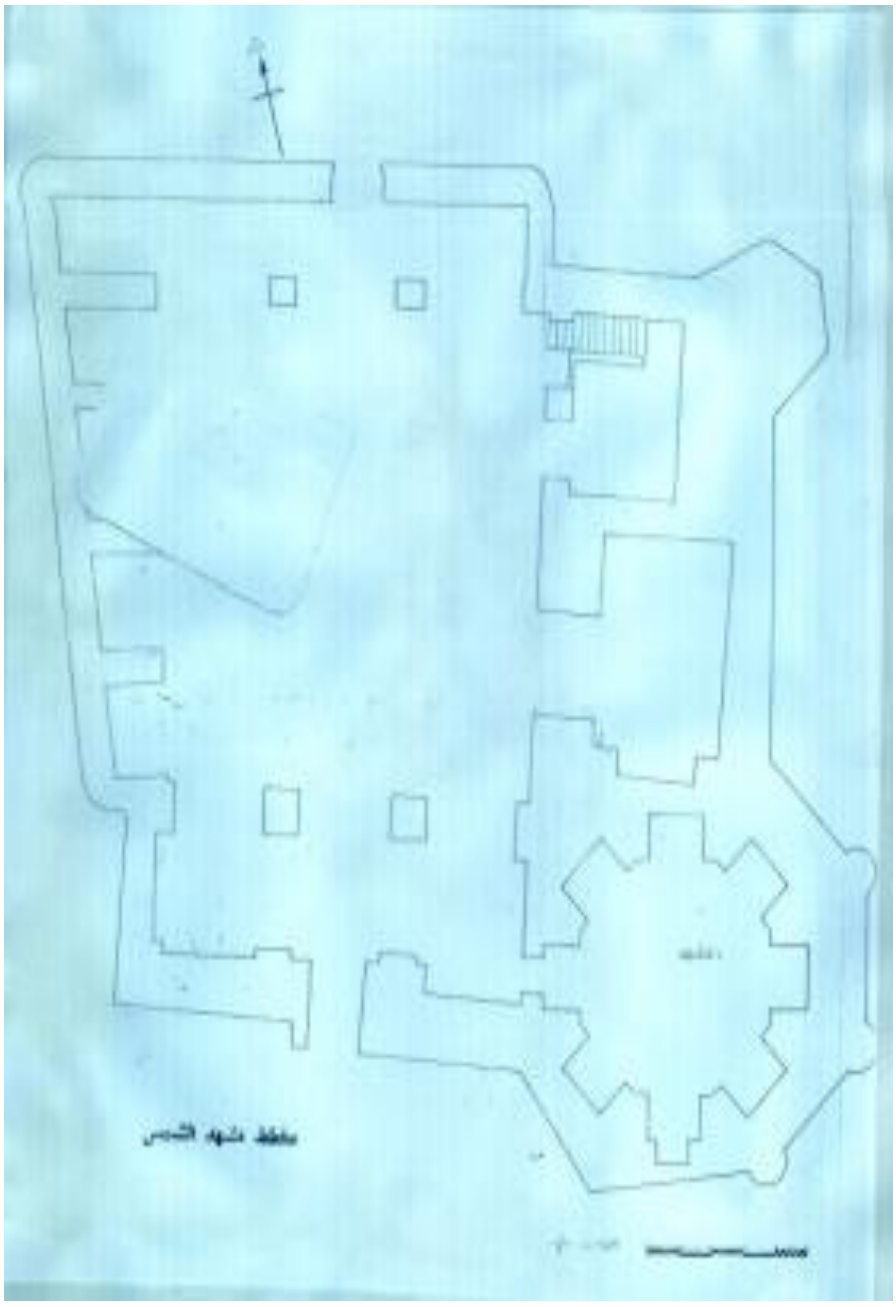

مخطط مشهد الشمس

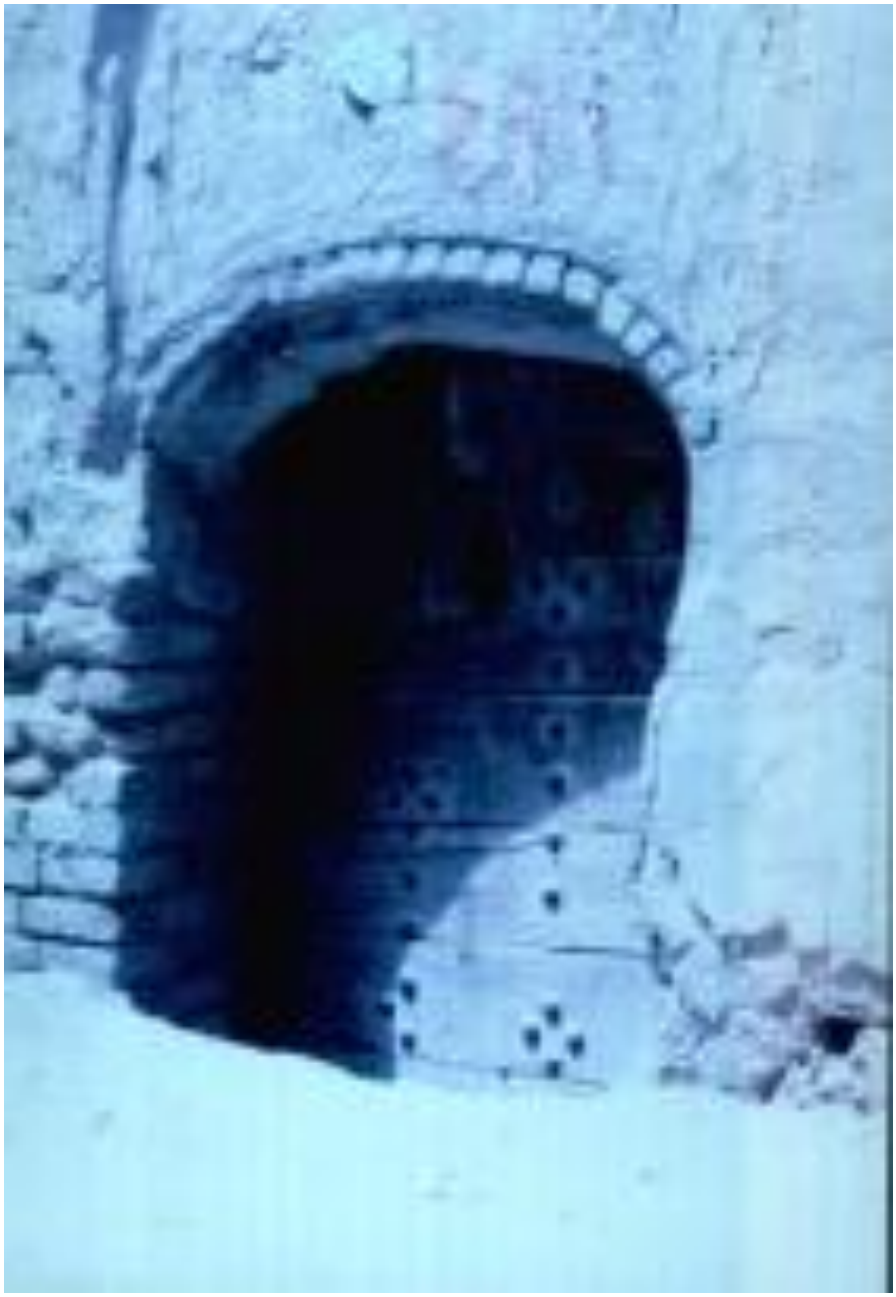

منطقة كريطعه

منطقة الجامعين – دار القزويني

منطقة الجامعين

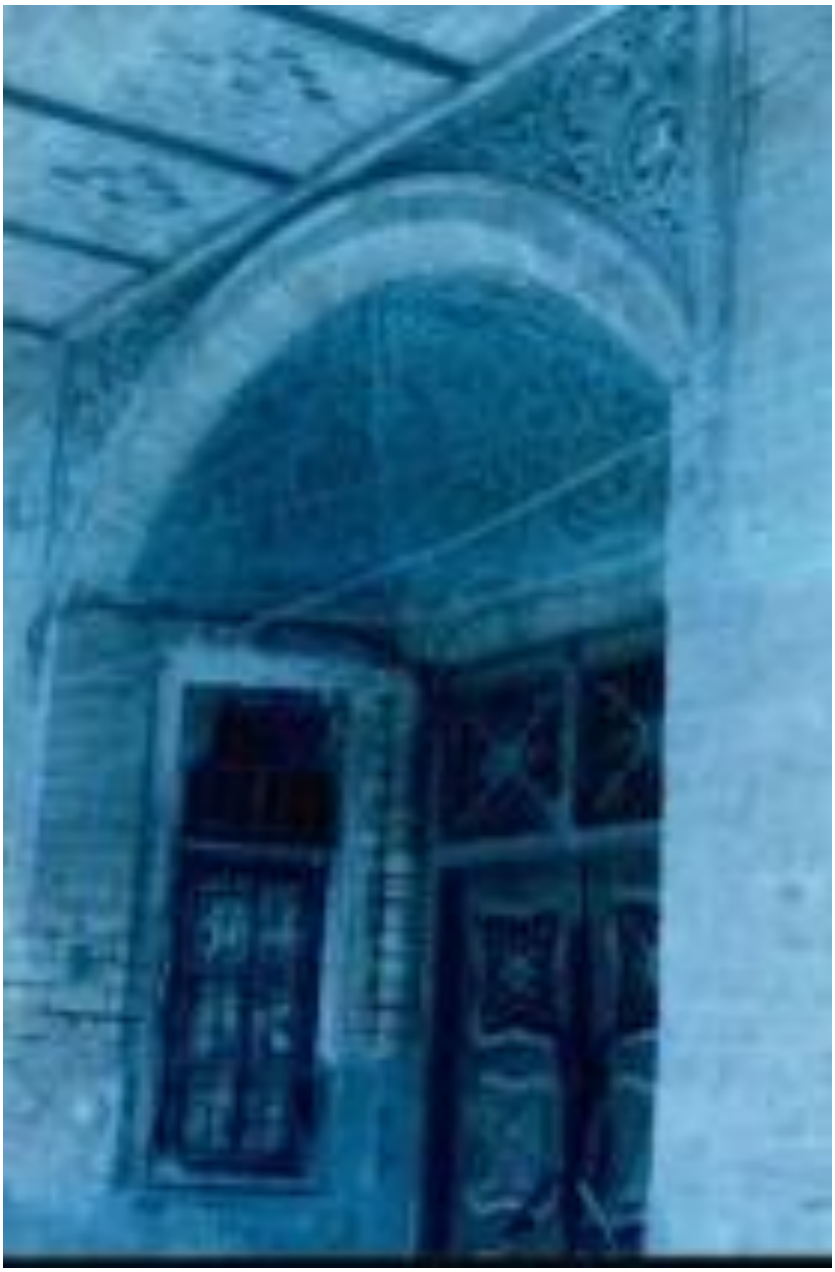

دار في منطقة الجامعين

بقايا من دار في سوق العلاوي

بقايا دار قديم في شارع أبي القاسم

منطقة الوردية

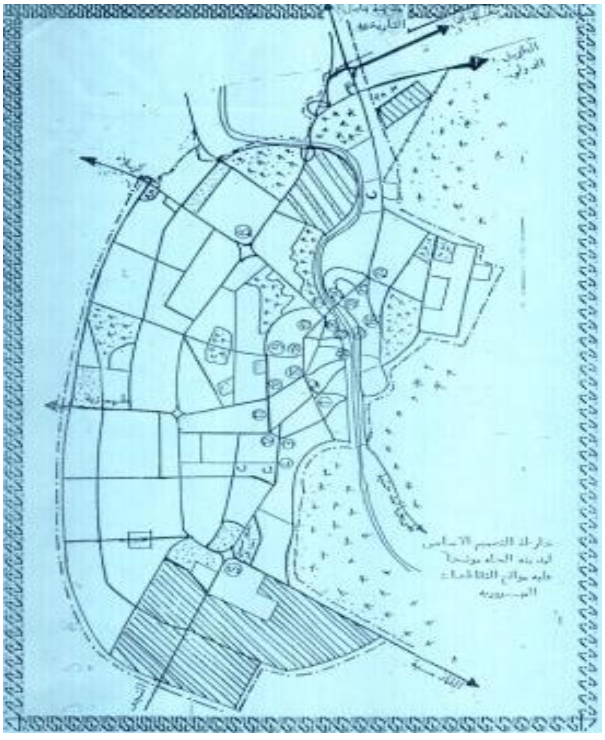

خارطة التصميم الأساسي لمدينة الحلة موضحا عليه مواقع التقاطعات المرورية

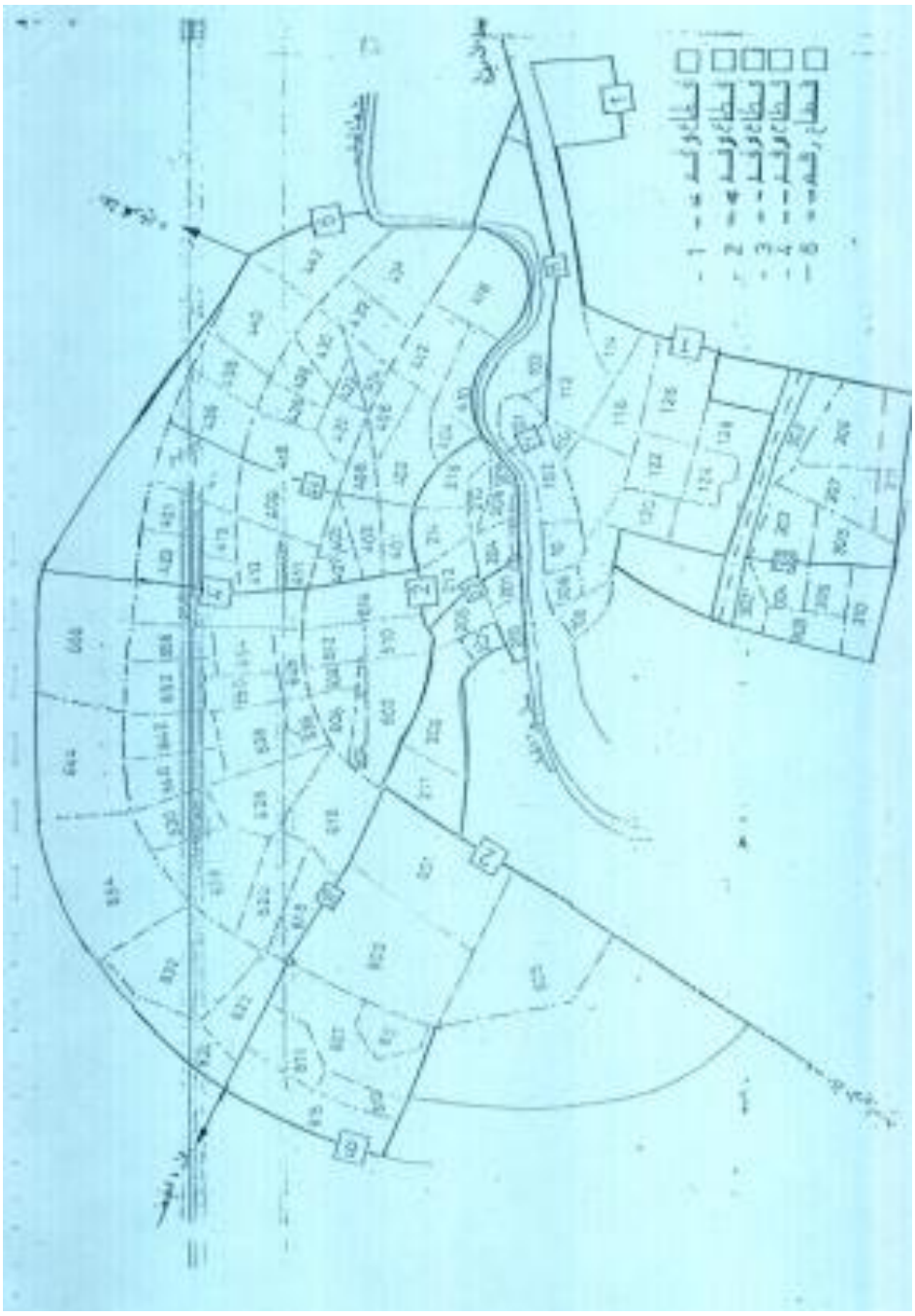

قطاعات مدينة الحلة

المدرسة الفاطمية النموذجية في الحلة

عمارة مصرف الرافدين في الحلة

(باب عشتار) المدخل الرئيس لمدينة بابل الاثرية

كازينو وتنزه غابة الجمهورية في الحلة

بناية مصرف الرافدين في الحلة

قائممقامية مدينة الحلة

بناية رئاسة مدينة الحلة

جامع ابن ادريس المكتبة العامة

بناية مدرسة دار المعلمات الابتدائية

سايلو الحلة

الجسر الحديدي الذي يربط المدينة والواقع على امتداد شارع رئيس حديث

واجهة دار حديث

واجهة دار حديث

واجهة دار قديم

واجهة دار قديم

الجناح العائلي

الفضاء الداخلي العائلي

جناح الضيوف

الفضاء الداخلي العائلي

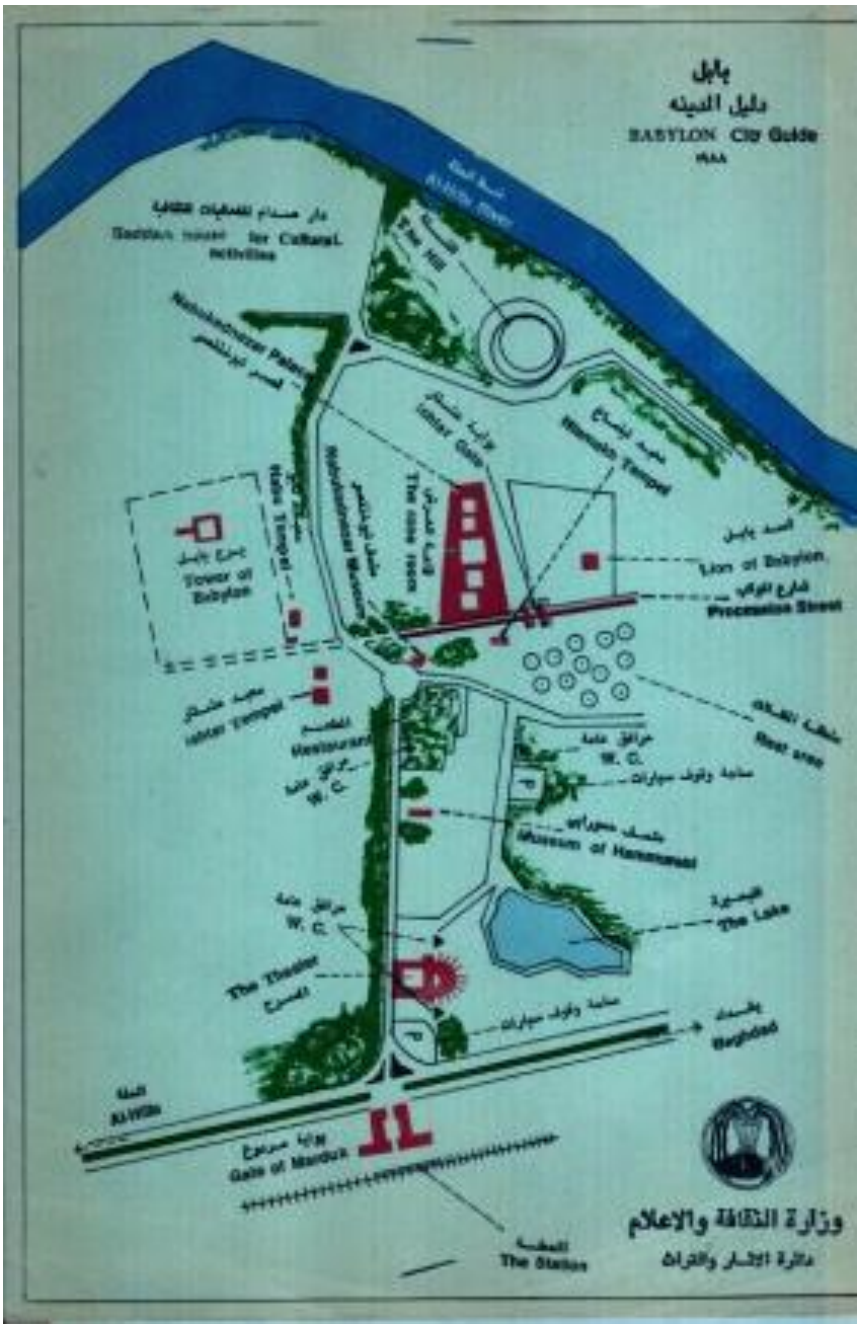

دليل مدينة بابل الاثرية

مدينة بابل الاثرية اليوم

مدينة بابل الاثرية اليوم

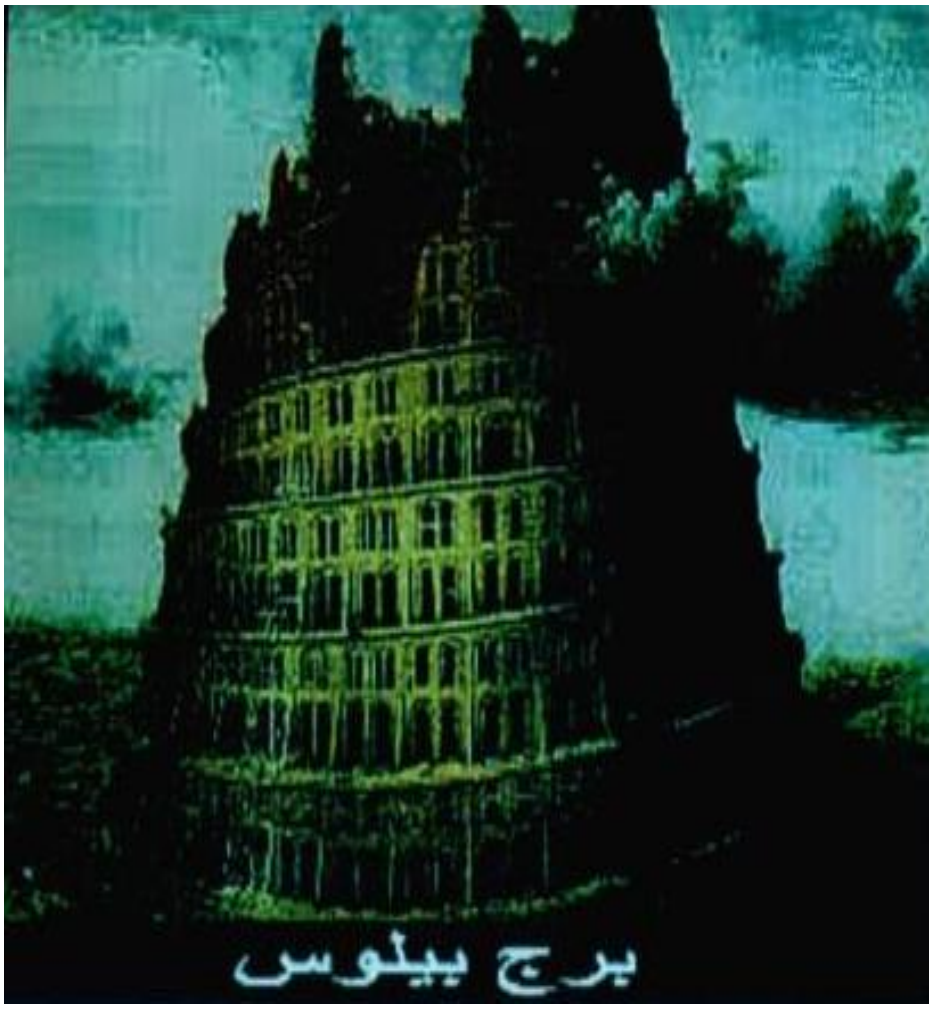

برج بيلوس

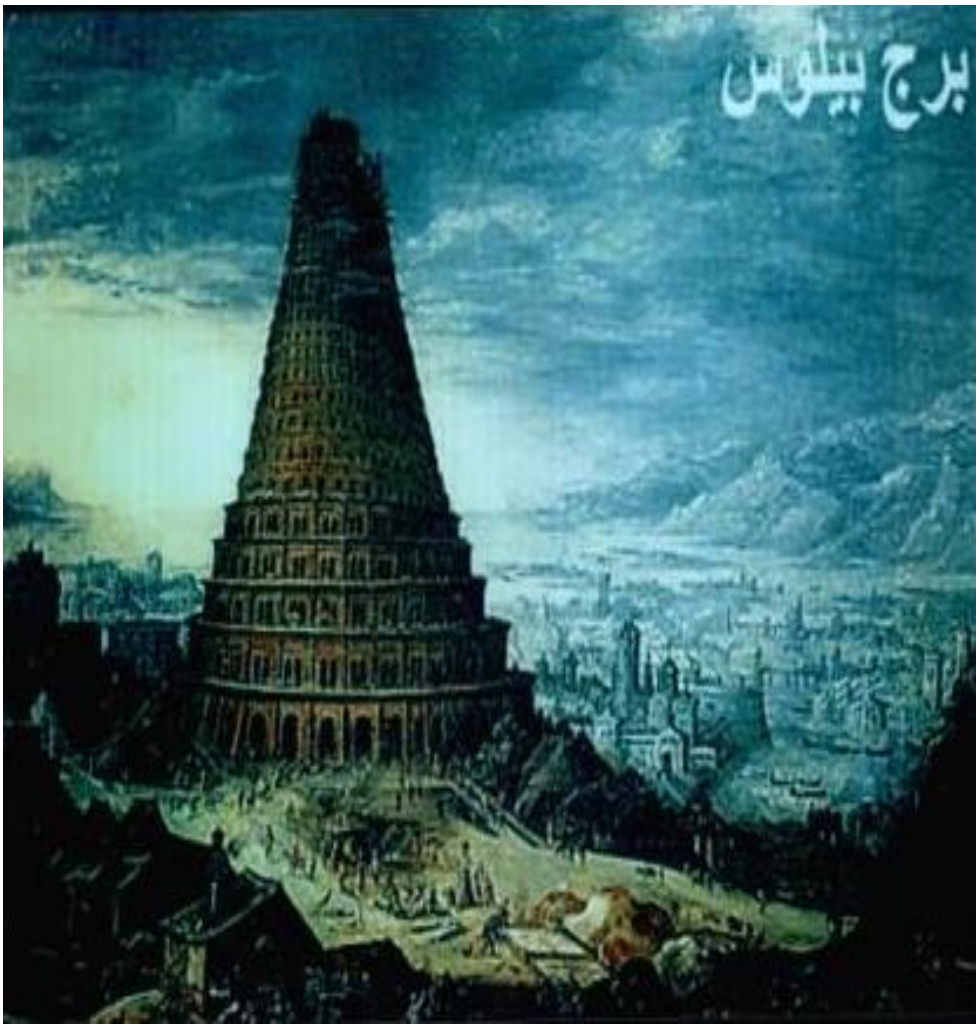

برج بيلوس

صورة تخيلية لبرج بابل، بيتر برويغيل البكر

المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإهداء	٥
توطئة	٧
العمارة في مدينة الحلة	٩
العمارة في مدينة الحلة ما قبل العباسيين	١٧
مشهد الشمس	١٩
العمارة من الفترة العباسية لنهاية الاحتلال العثماني	٢١
العمارة في فترة الاحتلال العثماني	٢٤
البيت الحلي	٢٦
المواد المستعملة في بناء الدار الحلي في الفترة العثمانية	٢٧
العمارة في مدينة الحلة – في فترة الاحتلال الانكليزي	٢٩
مقالات في شوارع الحلة	٣٥
إحياء العمارة في الحلة	٣٧
شارع عشتار (٤٠)	٣٩
شارع المكتبات	٤١
شارع (٦٠)	٤٣
شارع (٣٠)	٤٥
شارع الإمام علي (ع)	٤٧
العمارة في العهد الوطني	٥١
بيوت الأغنياء في مدينة الحلة أثناء فترة الحكم الوطني في العراق	٦١
العمارة بعد ثورة ١٩٥٨ ولغاية ١٩٦٨ في مدينة الحلة	٦٥

العمارة من عام ١٩٦٨-٢٠٠٣ في مدينة الحلة	٧٥
دراسات في بعض الآثار البابليـة	٨٥
برج بورسيبا	٨٧
المرجعيات الدينية	٨٨
المرجعيات الآثارية	٩٠
معبد نابو	٩٤
برج بابل	١٠١
ملحق الصور	١٢٧
المحتويات	١٦٥

دار الفرات للثقافة والإعلام - بابل - العراق

Al-Furat House for Education and Information

Iraq – Babylon